اللهم إنّا نعوذ بك من الحَوْر بعد الكَوْر

مجلة • إسلامية • ثقافية • شهرية تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية

العدد ٦٣٤ السنة الثالثة والخمسون - شوال ١٤٤٥ هـ

الثمن ١٠ جنيهات

التوحيد

العدد ٦٣٤ السنة الثالثة والخمسون - شوال ١٤٤٥ هـ

الثمن ١٠ جنيهات

الأحكام الفقهية المتعلقة بصيام الستة من شوال

- مقدار زكاة الفطر وأجناسها ووقت إخراجها
- دروس وعبر من رحيل شهر رمضان
- أول عيد فطر يمر على المسلمين

واعبد ربك حتى يأتيك اليقين

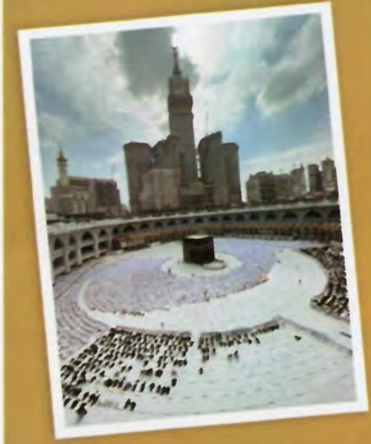

المسلسلات بين الماضي المشرق والحاضر المؤلم

حقائق حول عدم أحقية اليهود في أرض فلسطين

بسم الله الرحمن الرحيم

فاعلم أنه لا إله إلا الله

رئيس مجلس الإدارة
والمشرف العام
على مجلة التوحيد
فضيلة الشيخ

أحمد يوسف عبدالمجيد

رئيس التحرير التنفيذي:

حسين عطا القراط

الاشتراك السنوي

١- في الداخل ٢٠٠ جنيه توضع في حساب المجلة رقم/ ١٩١٥٩٠ ببنك فيصل الإسلامي مع إرسال قسيمة الإيداع على فاكس المجلة رقم/ ٠٢٢٣٩٣٠٦٦٢

٢- في الخارج ٨٠ دولارا أو ٤٠٠ ريال سعودى أو مايعادل لهما

السلام عليكم

للصائم فرحتان

الفرح أعلى نعيم القلب ولذته وبهجته، والفرح بالشيء فوق الرضا به، ولذلك فهو مطلب يسعى الثقلان الإنس والجن لتحصيله؛ فهو مطلب فطري، وقد يكون الفرح طبيعيًا لحدوث نعمة تعود عليه في الدنيا، وقد يكون الفرح دينيًا لحدوث نَصْر أو فضل ديني.

وهذا الفرح بنَوْعَيه له حالان في الشريعة:

الحال الأول: الفرح المذموم، كالفرح بالمعصية التي يحصلها، أو الفرح الذي يؤدي للأشر والبطر، قال تعالى: «إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ» (القصص: ٧٦)، وقال: «ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ» (غافر: ٧٥).

الحال الثاني: الفرح الممدوح، كالفرح والاستبشار بفضل الله وعظيم ثوابه، أو الفرح بنصر المسلمين، قال تعالى: «قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ» (يونس: ٥٨).

وللصائم فرحتان كلاهما ممدوح: الفرح بفطره بعد صومه، ولذلك شُرِع بعده إظهار ذلك بعيد الفطر، والأخرى الفرح بأجره إذا لقي ربه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «وللصَّائم فَرْحَتَان يَفْرَحُهُما: إذَا أَفْطَر فرِح بفطْره، وإذا لَقي ربَّهُ فرِحَ بصَوْمه» (رواه البخاري ١٩٠٤، ومسلم ١١٥١).

وبقيت لنا فرحة نسألها ربنا بنصرة إخواننا في فلسطين، وتحرير المسجد الأقصى.

فاللهم أتمم علينا بفضلك الفرح.

التحرير

نقدم للقارئ الكريم كرتونة كاملة تحوي ٤٩ مجلدًا
من مجلدات مجلة التوحيد عن ٤٩ سنة كاملة

فهرس العدد

افتتاحية العدد: واعبد ربك حتى يأتيك اليقين
الشيخ أحمد يوسف عبد المجيد ٢
باب التفسير: سورة لقمان
د. عبد العظيم بدوي ٥
مصطلحات علم العقيدة د. عبد الله شاكر ٨
اللهم إنا نعوذ بك من الحور بعد الكور
د. محمد حامد ١٣
بركة النبي صلى الله عليه وسلم
د. جمال المراكبي ١٧
أول عيد فطر يمر على المسلمين
د. سيد عبد العال ٢١
عاقبة المال الحرام في الدنيا والآخرة
الشيخ صلاح نجيب الدق ٢٤
تعيين ليلة القدر د. أيمن خليل ٢٨
الأذان: المعاني والفضائل
الشيخ صلاح عبد الخالق ٣٣
واحة التوحيد د. علاء خضر ٣٦
الأحكام الفقهية المتعلقة بصيام الستة من شوال
د. عبد القادر فاروق ٣٨
المسلسلات بين الماضي المشرق والحاضر المؤلم
د. أحمد سليمان ٤١
دروس وعبر من رحيل شهر رمضان
أ. عبد العزيز مصطفى الشامي ٤٤
العلماء الربانيون د. محمد عبد العزيز ٤٩
تحذير الداعية من القصص الواهية
الشيخ علي حشيش ٥٣
حقائق حول عدم أحقية اليهود في أرض فلسطين
د. محمد عبد العليم الدسوقي ٥٧
البيئة التربوية الشيخ عادل شوشة ٦١
مقدار زكاة الفطر ووقت إخراجها د. أيمن خليل ٦٤
الثبات على الطاعة حتى الممات
الشيخ عبده أحمد الأقرع ٦٦
السياق وتنوع أوصاف العذاب في القرآن الكريم
د. عبد الرحمن فودة ٧٠

جمعية أنصار السنة المحمدية

صاحبة الامتياز
جمعية أنصار السنة المحمدية

رئيس التحرير:
مصطفى خليل أبو المعاطي

الإخراج الصحفي:
أحمد رجب محمد
محمد محمود فتحي

ثمن النسخة

مصر ١٠ جنيهات، السعودية ١٢ ريال، الإمارات ١٢ دراهم، الكويت ١ دينار، المغرب ٢ دولار أمريكي، الأردن ١ دينار، قطر ١٢ ريال، عمان ١ ريال عماني، أمريكا ٤ دولار، أوروبا ٤ يورو

إدارة التحرير
٨ شارع قولة عابدين. القاهرة
ت: ٢٣٩٣٦٥١٧ . فاكس: ٢٣٩٣٠٦٦٢

البريد الإلكتروني
MGTAWHEED@HOTMAIL.COM

منفذ البيع الوحيد
بمقر مجلة التوحيد
الدور السابع

١٠٠٠ جنيهاً ثمن الكرتونة للأفراد والهيئات والمؤسسات
داخل مصر و٣٠٠ دولاراً خارج مصر شاملة سعر الشحن

واعبد ربك حتى يأتيك اليقين

إعداد **الشيخ/ أحمد يوسف عبد المجيد**
الرئيس العام

الحمد لله الحي الذي لا يموت، والصلاة والسلام على أعبد الناس لربه. وبعدُ، فإن أغلى ما يُعطاه العبد هو الزمان الذي هو رأس ماله. وما حياته إلا جزء من الزمان. وسرعان ما ينتهي ويجد العبد نفسه بين يدي ملك الموت، وعندها يتذكر المفرِّط ما مضى من حياته بعيدًا عن طاعة ربه، مفرطًا في أوامره، « حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ (٩٩) لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ » (المؤمنون: ٩٩، ١٠٠)، قال ابن كثير عند تفسيره لهذه الآيات: "يخبر الله تعالى عن حال المحتضر عند الموت من الكافر أو المفرط في أمر الله تعالى وقيلهم عن ذلك وسؤالهم الرجعة إلى الدنيا ليصلح ما كان أفسده في مدة حياته، ولهذا قال: « قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ (٩٩) لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُۚ » (المؤمنون: ٩٩، ١٠٠).

ومن المعلوم تفاضل بعض الأزمنة على بعض، وشهر رمضان من الأزمنة التي يرجى فيها مغفرة الذنوب، لذا كان إقبال الكثير من الناس على أنواع الطاعات في هذا الشهر الفضيل، وهذا أمر طيب، غير أن الملاحظ أن الكثير يظن أن العبادة قاصرة على هذا الشهر وحده، فترى امتلاء المساجد، وإقبال الناس على فعل الخيرات، ثم يرجع إلى ما كان عليه من تفريط بعد رمضان، ولربما أقبل في أول الشهر، ثم عاد بعد أيام. والحق الذي لا مرية فيه أن المسلم مُطالَب بالمداومة على العبادة حتى الموت، قال الله تعالى: « وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ » (الحجر: ٩٩).

«الأنبياء عليهم السلام وأصحابهم أعلم الناس بالله وأعرفهم بحقوقه وصفاته وما يستحق من التعظيم وكانوا أعبد الناس.»

قال القرطبي: اليقين: الموت، وكأن معناه لا تفارق العبادة حتى الموت، والمراد استمرار العبادة مدة حياته، كما قال العبد الصالح (عيسى عليه السلام): «وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا» (مريم: ٣١)، وقد ذكر ذلك كثير من المفسرين، واستدلوا على ذلك بما ورد في الصحيح من حديث أم العلاء لما قالت عند موت عثمان ابن مظعون: رحمة الله عليك أبا السائب فشهادتي عليك: لقد أكرمك الله، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «وما يدريك أن الله أكرمه؟» فقلت: بأبي أنت يا رسول الله، فمن يكرمه الله؟ فقال: «أما هو فقد جاءه اليقين، والله إني لأرجو له الخير" (صحيح البخاري).

وقد ذكر صاحب أضواء البيان عددًا ممن قالوا بأن اليقين هو الموت، وهم سالم بن عبد الله بن عمر، ومجاهد، والحسن، وقتادة، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، مستدلين بما جاء حكاية عن المجرمين: «قالوا لم نك من المصلين ﴿٤٣﴾ ولم نك نطعم المسكين ﴿٤٤﴾ وكنا نخوض مع الخائضين ﴿٤٥﴾ وكنا نكذب بيوم الدين ﴿٤٦﴾ حتى أتانا اليقين ﴿٤٧﴾» (المدثر: ٤٣-٤٧)، وهو الموت.

واستدل ابن كثير بهذه الآية على أن العبادة كالصلاة واجبة على الإنسان ما دام عقله ثابتًا، فيصلي بحسب حاله، كما استدل بها على تخطئة من ذهب من الملاحدة إلى أن المراد باليقين المعرفة، حتى إذا وصل أحدهم إلى المعرفة سقط عنه التكليف عندهم، وهذا كفر وضلال وجهل، فإن الأنبياء عليهم السلام كانوا وأصحابهم أعلم الناس بالله، وأعرفهم بحقوقه وصفاته وما يستحق من التعظيم، وكانوا مع هذا أعبد الناس وأكثر الناس عبادة ومواظبة على فعل الخيرات إلى حُسن الوفاة.

وقد أشار القرآن إلى ما جُبل عليه الإنسان من ضعف يجعله يجزع ويخاف وييأس إذا مسه الشر ويبخل إذا مسه الخير، ثم قال سبحانه: «إلا المصلين ﴿٢٢﴾ الذين هم على صلاتهم دائمون» (المعارج: ٢٢، ٢٣)، فمداومتهم على العبادة أخرجتهم من هذه الخصال الذميمة، قال ابن كثير رحمه الله: إنهم الذين إذا عملوا عملًا داوموا عليه وأثبتوه.

وقد ورد في الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سُئل: أي العمل أحب إلى الله تعالى؟ قال: «أدومه وإن قل». (البخاري:٦٤٦٥).

ورحم الله الشيخ السعدي، فقد قال عند تفسيره لهذه الآية: «الذين هم على صلاتهم دائمون» أي: مداومون عليها في أوقاتها، بشروط ومكملات وليسوا كمن لا يفعلها أو يفعلها وقتًا دون وقت، أو يفعلها على وجه ناقص.

وقال ابن عطية رحمه الله: المعنى: مواظبون عليها قائمون لا يملون في وقت من الأوقات فيتركونها، وهذا في المكتوب، أما النافلة فالدوام على الإكثار منها بحسب الطاقة، إذا كان هذا في شأن الصلاة فإن الواجب على المسلم أن يعيش حياته كلها على طاعة الله تعالى حتى يدركه الموت، وهو على الإسلام، وعندها يدخل الإنسان في مرحلة الراحة التي لا يعقبها كدر، حيث تقول له الملائكة ساعة خروج روحه: «سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون» (النحل: ٣٢)، لذلك أمر المسلم بتقوى ربه والمداومة على الطاعة، قال تعالى: «يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون» (آل عمران: ١٠٢).

ورحم الله الشيخ السعدي حيث قال عند تفسيره لهذه الآية: إن هذا أمر من الله لعباده المؤمنين أن يتقوه حق تقواه، وأن يستمروا على ذلك ويثبتوا عليه ويستقيموا إلى الممات، فإن من عاش على شيء مات عليه، فمن كان في حال صحته ونشاطه مداومًا لتقوى ربه وطاعته منيبًا إليه على الدوام ثبّته الله عند موته ورزقه حسن الخاتمة.

والمداومة على الطاعة تقي العبد مصارع السوء، قال تعالى عن نبيه يونس عليه السلام: «فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ» (الصافات: ١٤٣، ١٤٣).

قال الشيخ السعدي رحمه الله عن تسبيح يونس عليه السلام: أي في وقته السابق بكثرة عبادته لربه وتسبيحه وتحميده وفي بطن الحوت، حيث قال: «لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ» (الأنبياء: ٨٧).

ولكن بسبب تسبيحه وعبادته نجّاه الله تعالى، وكذلك ينجي الله المؤمنين عند وقوعهم في الشدائد، والمداومة على الطاعة حال الصحة تورث الأجر حال العجز، كما في الصحيح من حديث أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا مرض العبد أو سافر كُتبَ له مثل ما كان يعمل صحيحًا مقيمًا». قال ابن حجر: وهو في حق من كان يعمل طاعة فمُنع منها، وكانت نيته لولا المانع أن يداوم عليها.. ولنا الأسوة الحسنة في أعبد الناس لله وهو النبي صلى الله عليه وسلم؛ فقد أخبرت الصدّيقة بنت الصدّيق عن مداومته صلى الله عليه وسلم على العمل الصالح، حتى لو فات وقته لعذر أو غيره، كما في صحيح مسلم: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا عمل عملاً أثبته، وكان إذا نام من اليل أو مرض صلى من النهار ثنتي عشرة ركعة».

ومن الطاعات التي أمر الله بها: كثرة الذكر، قال الله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا» (الأحزاب: ٤١)، قال القرطبي رحمه الله: "أمر الله عباده بأن يذكروه ويشكروه، ويكثروا من ذلك على ما أنعم به عليهم، وجعل تعالى ذلك دون حد لسهولته على العبد ولعظم الأجر فيه. قال ابن عباس: لم يُعذر أحد في ترك ذكر الله إلا مَن غُلب على عقله، وفي السورة ذاتها ذكر سبحانه أن من أسباب المغفرة والأجر العظيم كثرة ذكره سبحانه، فقال تعالى: «وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا» (الأحزاب: ٣٥).

> “المداومة على الطاعة تقي العبد مصارع السوء.”

ألا فلنداوم على العبادة قبل أن ينتهي الأجل، ولنعلم أننا نعبد الحي الذي لا يموت، وما المواسم التي تفضّل الله بها علينا كشهر رمضان إلا منح منحها الله لعباده لتكون مكفرات للذنوب إذا ما وفق العبد لتقوى الله فيها فليبادر العبد بالتوبة قبل فوات الأوان، فإن الله قال: «قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا» (النساء: ٧٧).

وإن مما يعين على المداومة على الطاعة: الاستعانة بالله تعالى وحسن التوكل عليه. «يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ» (الحجرات: ١٧).

ومن ذلك الدعاء الذي هو سلاح المؤمن كما ذكر الله تعالى عن الراسخين في العلم المتواضعين لله المتذللين له في مرضاته، فهم الفاهمون العقلاء المتدبرون أصحاب العقول السليمة الذين يعرفون حقارة الدنيا، قال تعالى مخبرًا عن دعائهم قائلين: «رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ» (آل عمران: ٨).

والمداومة على الطاعة يلزمها صحبة ومرافقة الصالحين قال تعالى: «وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا» (الكهف: ٢٨)؛ ففي هذه الآية كما قال المفسرون: المفسرون الأمر بالصبر مع المؤمنين العباد المنيبين الذين يريدون وجه الله؛ فهم العباد المخلصون الذين هداهم الله.

فاللهم ارزقنا صحبة الأخيار، وقنا برحمتك عذاب النار.

النَّاس، إلاَّ الله. كما قال تعالى: «وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ» (الشورى: ٢٨). فلوْ كانُوا يعْلمُون أنَ المَطر منْهُمْ قريبٌ ما قنطوا.

الثَّالثُ: ما في الأرْحام، منْ ذكر أوْ أُنْثى، مُخلّقة أوْ غيْر مُخلّقة، شقيٌ أوْ سعيد، طويل العُمُر أوْ قصيره، واسع الرّزْق أوْ ضيّقه، الخ ذلك ممّا كتب الله على عبْده.

الرّابعُ: ما يكُون في غد، فلا يعْلم ما يكُون غدًا إلاَّ الله، لأنَ هذا من الغيْب الّذي اخْتصَ الله به، لا يعْلم ذلك ملكٌ مُقرّبٌ، ولا نبيٌّ مُرْسلٌ، فضْلاً عن الأوْلياء الصّالحين.

قال تعالى: «قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ» (النمل: ٦٥). وأمر الله الأنْبياء والمُرْسلين أنْ يُصرّحُوا لأقْوامهمْ بأنّهُمْ لا يعْلمُون الغيْب، قال تعالى حكاية عنْ نُوح عليه السلام: «وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنفُسِهِمْ إِنِّي إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ» (هود: ٣١)، وقال تعالى لنبيّنا مُحمّد صلى الله عليه وسلم: «قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ» (الأعراف: ١٨٨).

وعنْ مسْرُوق قال: قُلْت لعائشة رضي الله عنْها: يا أُمّتاهْ! هلْ رأى مُحمّدٌ صلى الله عليه وسلم ربّهُ؟ فقالتْ لقدْ قفّ شعْري ممّا قُلْت، أيْن أنْت منْ ثلاث، منْ حدّثكهُنّ فقدْ كذب، منْ حدّثك أنّ مُحمّدًا صلى الله عليه وسلم رأى ربّه فقدْ كذب. ثُمّ قرأتْ: «لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ» (الأنعام: ١٠٣)، «وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ» (الشورى ٥١)، ومنْ حدّثك أنّه يعْلم ما في غد فقدْ كذب، ثُمّ قرأتْ: «وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا» (لقمان ٣٤)، ومنْ حدّثك أنّه كتم فقدْ كذب، ثُمّ قرأتْ: «يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ» (المائدة٦٧) ولكنّه رأى جبْريل عليه السلام في صُورته مرّتيْن. (صحيح البُخاري: ٤٨٥٥).

وإذ الأمْر كذلك كان من الأدب أنْ لا يجْزم أحدٌ بما يُريد فعْله غدًا، وإنّما يرُدّ الأمْر إلى الله، كما قال تعالى: «وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا (٢٣) إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ» (الكهف: ٢٣، ٢٤).

الخامسُ: أيْن يمُوت الإنْسان، على فراشه أمْ على غيْر فراشه، مُقيمًا أمْ مُسافرًا، في بلاده أمْ خارج بلاده، فلا يعْلم ذلك إلاّ الله، و«إذا أراد الله قبْض عبْد بأرْض جعل له بها حاجة» (رواه الحاكم في المستدرك ١٣٧٥ وصححه)، كما قال صلى الله عليه وسلم، ولذلك لمّا قال المُنافقُون عمّنْ قُتل يوْم أُحُد: «لَّوْ كَانُوا عِندَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا» (آل عمران ١٥٦)، وقالُوا: «لوْ كان لنا من الأمْر شيْءٌ ما قُتلْنا هاهُنا»، قال الله تعالى: «قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ» (آل عمران ١٥٤).

وقدْ أخْبر النّبيّ صلى الله عليه وسلم أنّ الموْت بغيْر أرْض المُؤْمن أعْظم أجْرًا منْ موْته بأرْضه، عنْ عبْد الله بْن عمْرو رضي الله عنه قال: مات رجُل بالمدينة ممّنْ وُلد بها، فصلّى عليْه رسُول الله صلى الله عليه وسلم ثُمّ قال: «يا ليْته مات بغيْر موْلده». قالُوا: ولم ذاك يا رسُول الله؟ قال: «إنّ الرّجُل إذا مات بغيْر موْلده قيس له منْ موْلده إلى مُنْقطع أثره في الجنّة». (صحيح سنن ابن ماجه:١٨٣١).

وقوْلُه تعالى: «إنّ الله عليمٌ خبيرٌ ٣٤» كالتّعْليل لما سبق منْ علْمه بالخمْس المذْكُورة، وأنّ علْمها داخلٌ في عُمُوم علْمه سُبْحانه الشّامل الكامل، المُحيط بكُلّ شيْء، كما قال تعالى: «وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ» (يونس: ٦١). وقال عبْد الله بْن مسْعُود رضي الله عنه: كُلّ شيْء أُوتي نبيُّكُمْ صلى الله عليه وسلم غيْر خمْس: «إنّ الله عنْده علْمُ السّاعة» الآية إلى آخرها. وقال ابْن عبّاس رضي الله عنه: هذه الخمْسة لا يعْلمُها إلا الله تعالى، ولا يعْلمُها ملكٌ مُقرّبٌ، ولا نبيٌّ مُرْسلٌ، فمنْ ادّعى أنّه يعْلم شيْئًا منْ هذه فقدْ كفر بالقُرآن، لأنّه خالفه. ثُمّ إنّ الأنْبياء يعْلمُون كثيرًا من الغيْب بتعْريف الله تعالى إيّاهُمْ، كما قال تعالى: «عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦) إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ

وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا » (الجن:٢٦-٢٧).

التحذير من إتيان الكهنة والعرافين:

وَالمُـرَاد إبْطال كـوْن الكهَنَة وَالمُنَجِّمين وَمَنْ يَسْتَسْقي بالأَنْوَاء يَعْلَمُون الغَيْب(الجامع لأحـكـام الـقـرآن ١٤/ ٨٢)، والـتَّـحْـذيـر منْ سُؤَالهمْ وتَصْديقهمْ. ففي صَحيح مُسْلم عَنْ بَعْض أزْوَاج النَّبيَ صلى الله عليه وسلم أنَّ النَّبيَ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «مَنْ أتَى عَرَّافا فَسَأله عَنْ شَيْء لَمْ تُقْبَلْ له صَلاة أرْبعين ليْلَة» (صحيح مسلم ٢٢٣٠)، وَعَنْ أبي هُرَيْرة رضي الله عنه أنَ رَسُول الله صلى الله عليه وسلم قَال: «مَنْ أتَى كاهنًا فَصَدَّقه بما يَقُول أوْ أتَى امْرَأته حائضًا، أوْ أتى امْرأته فِي دُبُرها، فَقَدْ بَرِئَ ممَّا أنْزَل الله على مُحمَّد» (صحيح سنن أبي داود:٣٣٠٤).

وعَنْ زَيْد بْن خالد الجُهَنيَ رضي الله عنه أنَّه قَال: صلَّى لَنَا رَسُول الله صلى الله عليه وسلم صَلاة الصُّبْح بالحُدَيْبية على إثْر سَماء كانَتْ من اللَّيْلة، فلمَّا انْصرف النَّبيَ صلى الله عليه وسلم أقْبل على النَّاس فَقَال: «هَلْ تَـدْرُون مَاذا قال ربُّكُمْ»؟. قَالُوا: الله ورَسُوله أعْلم. قال: «أصْبح مِنْ عِبادي مُؤْمنٌ بي وكافرٌ، فأمَّا مَنْ قَال مُطرْنا بفضْل الله ورحْمته، فذلك مُؤْمنٌ بي كافرٌ بالكوْكب، وأمَّا منْ قال بنَوْء كذا وكذا، فذلك كافرٌ بي مُؤْمنٌ بالكوْكب» (صحيح البخاري: ٨٤٦).

مجمل دلائل إمكان البعث:

وَقَد اسْتَنْبط الرَّازيَ عفا الله عنْه منْ هذه الآية الأدلَّة الدَّالَّة على إمْكان البعْث والَّتي سَبق بيانُها، فقال: لمَّا قال الله: اخْشوْا يوْمًا لا يَجْزي والدٌ عنْ وَلده وذكر أنَّه كائنٌ بقوْله: «إنَ وَعْـد الله حـقٌ» كـأنَ قـائلاً قـال: فـمتى يكون هذا اليوْمُ؟ فأجيب بأنَ هذا العلم ممَّا لَمْ يحْصَلْ لغَيْر الله وَلَكنْ هُو كائنٌ، ثُمَ ذَكر الدَّليليْن الَّذيْن ذكرْناهُما مرارًا على البعْث: أَحَدُهما: إحْياء الأرْض بعْد موْتها، كما قَال تَعالى: « وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ ۝ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَـٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ » (الـروم:٤٩-٥٠)، وَقَال تعَالى: « يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ » (الـروم: ١٩)، وَقَـال هَاهُنَا: يَا أيُّهَا السَّائلُ! إنَّـك لا تَعْلم وَقْتَهَا، وَلَكنَّهَا كَائنَةٌ، وَاللَّه قَادرٌ عَليْهَا، كمَا هُو قَادرٌ عَلى إحْيَاء الأرْض، حَيْث قَال: « وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ » (الشورى: ٢٨)، وَقَال: « وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ » (الروم:١٩).

وَثانيهمَا: الخَلْق ابْتَداءً كمَا قَال: « وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ » (الـرُّوم: ٢٧)، وَقَـال تَعَـالى: « قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ » (العَنْكبُوت: ٢٠)، إلَى غَيْر ذَلك، فَقَال هَاهُنَا: «وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَـام» إشَارَةَ إلَى أنَ السَّاعَة وَإنْ كُنْت لاَ تَعْلَمُهَا لكنَّهَا كَائنَةٌ وَاللَّه قَـادرٌ عَلَيْهَا، وَكَمَا هُو قادرٌ عَلَى الخَلْق فِي الأرْحَام كَذَلك يَقْدر عَلَى الخَلْق من الرِّحَام، ثُمَ قَال لذَلك الطَّالب عِلْمَهُ: يَا أيُّهَا السَّائل إنَّك تَسْأل عَن السَّاعَة أيَّان مُرْسَاهَا، فَلَك أشْياء أهَم منْهَا لا تَعْلَمُهَا، فَإنَّك لا تَعْلم مَعَاشك وَمَعَادك، وَلا تَعْلم مَاذا تَكْسب غدًا مَع أنَّه فعْلُك وَزَمَانُك، وَلا تَعْلَم أيْن تَمُوت مَع أنَّه شُغْلُك وَمَكَانُك، فَكيْف تَعْلم قيَام السَّاعة مَتَى تَكُون. فَالله مَا أعْلَمك كَسْب غَدك مَع أنَّ لَك فيه فَوَائد تُبْنَى عَلَيْهَا الأمُور منْ يوْمك، وَلا أعْلَمك أيْن تَمُوت مَع أنَّ لَك فيه أغْراضًا تُهيِّئ أمُورك بسَبب ذَلك العلْم، وَإنَّمَا لَمْ يُعْلمْك لكيْ تَكُون فِي وَقْت بسَبب الرِّزْق رَاجعًا إلَى الله تَعَالى مُتوكِّلاً عَلَى الله، وَلا أعْلَمك الأرْض الَّتي تَمُوت فيهَا كَيْ لا تَأمن المَوْت وَأنْت فِي غَيْرهَا، فَإذَا لَمْ يُعْلمك مَا تَحْتَاج إليْه كيْف يُعْلمك مَا لا حَاجَة لَك إليْه، وَهي السَّاعَة، وَإنَّمَا الحَاجَة إلَى العلْم بأنَّهَا تَكُون، وَقَدْ أعْلَمَكه الله عَلَى لسَان أنْبيَائه (التفسير الكبير (٢٥/ ١٦٥و١٦٦).

وبهذا انتهت رحلتنا فِي تفسير سورة لقمان، ومع سورة جديدة فِي العدد القادم إن شاء الله، ونسأل الله القبول.

مصطلحات علم العقيدة

إعداد د. عبد الله شاكر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان، وبعد:

لا زلنا -أخي الكريم- في التعريف لبعض مصطلحات علم العقيدة فقد تناولنا في المقال السابق تعريفا لمصطلحات مثل: "العقيدة" و"التوحيد" و"أصول الدين" و"السنة"، ونواصل -بمدد من الله وتوفيقه- استكمال هذه المصطلحات مثل: "الفقه الأكبر" و"أهل السنة والجماعة" و"السلف" و"أهل الحديث".

تعريف كلمة «الفقه الأكبر»:

أولا: الفقه لغة:

قال ابن فارس في: (معجم مقاييس اللغة): «فقه» الفاء والقاف والهاء أصل واحد صحيح يدل على إدراك الشيء والعلم به، تقول: فقهت الحديث أفقهه، وكل علم بشيء فهو فقه، ثم اختص بذلك علم الشريعة، فقيل لكل عالم بالحلال والحرام: فقيه. وأفقهتك الشيء إذا بينته لك.

ثانيا: الفقه اصطلاحا:

هو العلم بأحكام الشريعة. يقال: فقه الرجل فقاهة إذا صار فقيهًا، وفقه أي: فهم - فقهًا، وفقهه أي: فهمه وتفقه إذا طلبه، فتخصص به: قال تعالى: «وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ» (التوبة: ١٢٢).

ثالثا: أول من استخدم مصطلح «الفقه الأكبر» وأطلقه على العقيدة:

أول من استخدم مصطلح «الفقه الأكبر» وأطلقه على العقيدة هو الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت (رحمه الله تبارك تعالى)؛ فقد روي عنه كتاب بهذا الاسم، وهو مشهور عند أصحابه، رووه بالإسناد عن أبي مطيع الحكم بن عبد الله البلخي، وهو متن صغير يقع مطبوعًا في بضع ورقات، وقد حدد فيه الإمام- رحمه الله تعالى- عقائد أهل السنة تحديدًا منهجيًا، كما رد فيه على المعتزلة،

وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا » (الجن:٢٦-٢٧).

التحذير من إتيان الكهنة والعرافين:

والمراد إبطال كون الكهنة والمنجمين ومن يستسقي بالأنواء يعلمون الغيب(الجامع لأحكام القرآن ٨٢/١٤)، والتحذير من سؤالهم وتصديقهم، ففي صحيح مسلم عن بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من أتى عرافا فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة» (صحيح مسلم ٢٢٣٠)، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من أتى كاهنا فصدقه بما يقول أو أتى امرأته حائضا، أو أتى امرأته في دبرها، فقد برئ مما أنزل الله على محمد» (صحيح سنن أبي داود:٣٣٠٤).

وعن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه أنه قال: صلى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليلة، فلما انصرف النبي صلى الله عليه وسلم أقبل على الناس فقال: «هل تدرون ماذا قال ربكم»؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من قال بنوء كذا وكذا، فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب» (صحيح البخاري: ٨٤٦).

مجمل دلائل إمكان البعث:

وقد استنبط الرازي عفا الله عنه من هذه الآية الأدلة الدالة على إمكان البعث والتي سبق بيانها. فقال: لما قال الله: اخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده وذكر أنه كائن بقوله: «إن وعد الله حق» كأن قائلا قال: فمتى يكون هذا اليوم؟ فأجيب بأن هذا العلم مما لم يحصل لغير الله ولكن هو كائن، ثم ذكر الدليلين الذين ذكرناهما مرارا على البعث: أحدهما: إحياء الأرض بعد موتها، كما قال تعالى: « وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَـٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ » (الروم:٤٩-٥٠)، وقال تعالى: « يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ » (الروم: ١٩).

وقال هاهنا: يا أيها السائل! إنك لا تعلم وقتها، ولكنها كائنة، والله قادر عليها، كما هو قادر على إحياء الأرض، حيث قال: « وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ » (الشورى: ٢٨)، وقال: « وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ » (الروم:١٩).

وثانيهما: الخلق ابتداء كما قال: « وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ » (الروم: ٢٧)، وقال تعالى: « قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ » (العنكبوت: ٢٠)، إلى غير ذلك، فقال هاهنا: «ويعلم ما في الأرحام» إشارة إلى أن الساعة وإن كنت لا تعلمها لكنها كائنة والله قادر عليها، وكما هو قادر على الخلق في الأرحام كذلك يقدر على الخلق من الرخام. ثم قال لذلك الطالب علمه: يا أيها السائل إنك تسأل عن الساعة أيان مرساها، فلك أشياء أهم منها لا تعلمها، فإنك لا تعلم معاشك ومعادك، ولا تعلم ماذا تكسب غدا مع أنه فعلك وزمانك، ولا تعلم أين تموت مع أنه شغلك ومكانك، فكيف تعلم قيام الساعة متى تكون، فالله ما أعلمك كسب غدك مع أن لك فيه فوائد تبنى عليها الأمور من يومك، ولا أعلمك أين تموت مع أن لك فيه أغراضا تهيئ أمورك بسبب ذلك العلم، وإنما لم يعلمك لكي تكون في وقت بسبب الرزق راجعا إلى الله تعالى متوكلا على الله، ولا أعلمك الأرض التي تموت فيها كي لا تأمن الموت وأنت في غيرها، فإذا لم يعلمك ما تحتاج إليه كيف يعلمك ما لا حاجة لك إليه، وهي الساعة، وإنما الحاجة إلى العلم بأنها تكون، وقد أعلمكه الله على لسان أنبيائه (التفسير الكبير (٢٥/١٦٥و١٦٦).

وبهذا انتهت رحلتنا في تفسير سورة لقمان، ومع سورة جديدة في العدد القادم إن شاء الله، ونسأل الله القبول.

والقدرية، والجهمية، والشيعة.

تعريف كلمة «أهل السنة والجماعة»

الجماعة في اللغة مأخوذة من الجمع، وهو ضم الشيء بتقريب بعضه من بعض، يقال: جمعته فاجتمع.

أمر الله-تبارك وتعالى- في كتابه الكريم بالجماعة والائتلاف، ونهى عن الفرقة والاختلاف، فقال: «واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا» (آل عمران: ١٠٣).
وقال سبحانه: «ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم» (آل عمران: ١٠٥).

وقد تواردت أيضا الأحاديث الكثيرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في الأمر بملازمة الجماعة والتحذير من مفارقتها.

كقوله صلى الله عليه وسلم في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات، مات ميتة جاهلية». (أحمد وهو صحيح).

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة؛ فإن الشيطان مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد». (صحيح ابن حبان).

وعن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الجماعة رحمة، والفُرقة عذابٌ». (أحمد بسند ضعيف)

وبالتالي نجد أن القرآن الكريم قد حث كثيرًا على لزوم الجماعة، وهكذا النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم وما ذاك إلا لأهمية الجماعة.

ثالثًا: معنى كلمة «جماعة المسلمين»

اختلف العلماء في المراد بهذه الجماعة التي أمر النبي صلى الله عليه وسلم بها في هذه الأحاديث.

وحاصل أقوالهم: أن الجماعة راجعة إلى الاجتماع على الإمام الموافق للكتاب والسنة، وذلك ظاهر في أن الاجتماع على غير سنة، خارج عن معنى الجماعة المذكورة في الأحاديث المذكورة عن النبي صلى الله عليه وسلم، وذلك كالخوارج ومن جرى مجراهم، هؤلاء الناس لا شك أنهم خارجون عن معنى الجماعة؛ لمفارقتهم جماعة المسلمين.

وما ننتهي إليه في معنى أهل السنة والجماعة: أنها الفرقة التي وعدها النبي صلى الله عليه وسلم بالنجاة من بين سائر الفرق، ومدار هذا الوصف على اتباع سنة النبي صلى الله عليه وسلم وموافقة ما جاء به من الاعتقاد، والعبادة، والهدي، والسلوك، وملازمة جماعة المسلمين، وهو الحق الذي ينبغي التمسك به، وهذه مسألة مهمة للغاية.

وقد سمي أهل السنة والجماعة بهذا الاسم؛ لتمسكهم بسنة النبي صلى الله عليه وسلم وتمسكهم بالعمل بها، إلى جانب اتباعهم ما جاء من عند الله -تبارك وتعالى- وحده. وأهل السنة والجماعة هم الذين يعتصمون بالحق، ويقفون عند النصوص، ويلزمون جماعة المسلمين، فلا يفترقون في الدين، وبذلك يكونون على الجادة من الصراط المستقيم الذي هو دين الإسلام المحض الخالص، وملخص ذلك أنهم يتبعون ما في كتاب الله تعالى وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

التعريف بكلمة «السلف»:

أولا: «السلف» في اللغة:

السلف: الجماعة المتقدمون ومنه قوله عز وجل: «فجعلناهم سلفا ومثلا للآخرين» (الزخرف: ٥٦).

قال البغوي في تفسير هذه الآية: «والسلف: من تقدم من الآباء، فجعلناهم متقدمين؛ ليتعظ بهم الآخرون».

وقال ابن الأثير: «سلف الإنسان: من تقدمه بالموت من آبائه وذوي قرابته؛ ولهذا سمي الصدر الأول من التابعين السلف الصالح».

ثانيا: «السلف» في الاصطلاح:

اختلف في تحديد مفهوم «السلف» زمنيًا

على عدة أقوال:

القول الأول: أنهم الصحابة فقط؛ وهو قول عدد من شراح (الرسالة) لابن أبي زيد القيرواني.

القول الثاني: أنهم الصحابة والتابعون؛ وإليه ذهب أبو حامد الغزالي رحمه الله في قوله: «اعلم أن الحق الصريح الذي لا مراء فيه عند أهل البصائر، هو مذهب السلف، أعني: مذهب الصحابة والتابعين».

القول الثالث: أنهم الصحابة والتابعون وتابعو التابعين؛ أي: القرون الثلاثة التي أثبت لها النبي صلى الله عليه وسلم الخيرية بقوله في حديث عمران بن حُصين: «خير أمتي قرني، ثم الذي يلونهم، ثم الذين يلونهم». قال عمران: «فلا أدري أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثة».(البخاري:٢٦٥١).

وفي حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته». (البخاري:٢٦٥٢).

وإليه ذهب كثير من أهل العلم، كالإمام الشوكاني، والسفاريني، وعليه يدل صنيع شيخ الإسلام ابن تيمية في نحو قوله: «سلف الأمة وخيار قرونها». وربما أدخل من بعد تابعي التابعين، كالإمام أحمد في مفهوم «السلف» فيقول: وكذلك قال ابن الماجشون، وأحمد بن حنبل وغيرهما من السلف. يعني: أن هؤلاء يميلون إلى أن «السلف» لفظ يقصر على الصحابة والتابعين وتابعي التابعين.

ويحدد ابن رجب (رحمه الله تبارك تعالى) «السلف» المقتدى بهم إلى عصر الإمام أحمد وأقرانه، فيقول: وفي زماننا هذا يتعين كتابة كلام «السلف» المقتدى بهم إلى زمن الشافعي، وأحمد، وإسحاق، وأبي عبيد، وليكن الإنسان على حذر مما حدث بعدهم، فإنه حدث بعدهم حوادث كثيرة.

القول الرابع: أن «السلف» هم من كانوا قبل الخمسمائة: وهذا قول البيجوري رحمه الله فإنه قال: السلف وهم: من كانوا قبل الخمسمائة، وقيل: القرون الثلاثة والتابعون وأتباع التابعين.

قال الدكتور محمود خفاجي معقبًا على ذلك: «وإذا تساءلنا عن السبب: لماذا انسحب مفهوم لفظ «السلف» ليشمل من عاش قبل القرن الخامس الهجري دون غيره؟ ذلك ما لم أجد له إجابة عند هؤلاء الذين حددوا السلف بهذا الحد».

ولعل سبب ذهاب البيجوري-رحمه الله تعالى- إلى ذلك، هو رغبته إدخال أئمة الأشاعرة في مفهوم السلف، إذ لا يمكن إدخالهم في مفهوم السلف -زمنيًا- إلا على رأيه هذا؛ إذ كلهم كانوا بعد القرون الثلاثة، باستثناء الإمام الأشعري الذي توفي-رحمه الله تعالى- سنة ثلاثمائة وأربعة وعشرين من الهجرة النبوية.

وقد أصبح الإمام الأشعري على مذهب الإمام أحمد بعد رجوعه عن الاعتزال، ورجوعه عن قول ابن كلاب. وقد انتسب إليه بعد ذلك جماعة كثيرة من الناس لم يأخذوا بقوله الأخير-رحمه الله تعالى-.

ثالثا: ضرورة بيان مذهب السلف، وموقفهم من أهل البدع:

يجب ضرورة أن نبين مذهب السلف الصالح الذين لا يشك أحد في أنهم هم أهل السنة وأئمتها المعروفون بها، وأن نبين أيضًا ما ذهبوا إليه في فهم هذه النصوص وما فسروها به؛ لأنهم أدق فهمًا، وأصفى ذهنًا، وأصدق تسننًا وتدينًا، وأعمق علمًا، وأقل تكلفًا، وأقرب إلى مشكاة النبوة، وشعاع الوحي.

ولذا نرى كثيرًا من أئمة الإسلام إذا ذكر أمرًا من أمور الاعتقاد، يحرص على بيان قول السلف والأئمة المقتدى بهم المتفق على أئمتهم، يذكرهم ليُعلم أن مخالفهم سار على غير هديهم، فإما أن يكونوا على الهدى والصواب والسنة، أو يكون مخالفهم هو المصيب، ولا شك أنهم بالحق -أعني: السلف أهل السنة والجماعة- والصواب أولى؛ لما

عرفنا من فضلهم وعلمهم، وحرصهم على السنة والتمسك بها.

وذلك كقول الإمام أحمد بن حنبل-رحمه الله تعالى- في مقدمة رسالة: (السنة) له، قال: هذه مذاهب أهل العلم، وأصحاب الأثر، وأهل السنة المتمسكين بعروتها، المعروفين بها، المقتدى بهم فيها من لدن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا، وأدركت من علماء الحجاز والشام وغيرهما عليها، فمن خالف شيئًا من هذه المذاهب أو طعن فيها أو عاب قائلها، فهو مخالف مبتدع، وخارج عن الجماعة، زائل عن منهج السنة وسبيل الحق. ثم ذكر-رحمه الله تعالى- قوله في مسائل الاعتقاد.

وكذلك فعل الإمام أبو حاتم الرازي، وأبو زرعة أيضًا الرازي-رحمه الله تعالى- حيث قال: «أدركنا العلماء في جميع الأمصار حجازًا، وعراقًا وشامًا، ويمنًا فكان من مذهبهم الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص».

وقال الإمام الأوزاعي-رحمه الله تعالى-: «كنا والتابعون متوافرون، نقول: إن الله عز وجل فوق عرشه، ونؤمن بما وردت به السنة من صفاته».

التعريف بـ «أهل الحديث»:

الحديث في اللغة: ضد القديم، ويستعمل في كثير من الكلام وقليله، وهو اسم من التحديث بمعنى الإخبار، ثم سمي كل ما صدر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير، أو وصف خَلقي أو خُلقي.

تعريف «أهل الحديث» اصطلاحًا:

نستطيع أن نعرف أهل الحديث بأنهم الذين سلكوا طريق الصالحين، واتبعوا آثار السلف من الماضين، وكان لهم عناية خاصة بأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم جمعًا وحفظًا ورواية وفهمًا، وعملا في الظاهر والباطن. فكانوا بذلك ألزم الناس لسنن النبي صلى الله عليه وسلم لا يقدمون بين يديه، ولا يرفعون صوتهم فوق صوته صلى الله عليه وسلم لا بتقديم رأي أو هوى، أو يستحدثون بدعة في مقابلة النص بحال من الأحوال.

ومنهم أيضًا: كلُّ عالم فقيه، وإمام رفيع نبيه، وزاهد في قبيلة، ومخصوص بفضيلةَ، وقارئ متقن، وخطيب مُحسن، وهم الجمهور العظيم، وسبيلهم السبيل المستقيم؛ لأنهم أخذوا دينهم وهديهم من الكتاب والسنة وطريق النقل، فأورثهم ذلك اتفاقًا في الدين، وائتلافًا، رغم بعد ديارهم واختلاف أزمانهم.

ولذلك يمكنني أن أقول بأن: أهل الحديث يلتقون على عقيدة واحدة وإن تباعدت بهم الديار؛ وذلك لاتحاد مصدر التلقي عند هؤلاء.

وكان المتقدمون يطلقون مصطلح «أهل الحديث» على المدرسة التي تقابل «أهل الكلام» الذين عابهم السلف؛ لما أدخلوا في الاعتقاد من مصطلحات وأفكار غريبة عن المنهج الإسلامي؛ ولذلك اشتد النكير عليهم من علماء السنة، وهم أنفسهم -أي: علماء الكلام- كان يطلق عليهم «أهل الرأي»؛ لأنهم يقدمون آراءهم على الكتاب والسنة، ويعطون عقولهم سلطة الحكم على النصوص الشرعية، وهؤلاء في الحقيقة هم أعداء السنن، كما جاء وصفهم عن عمر رضي الله عنه.

هل هناك فرق بين مصطلح «أهل السنة» و«أهل الحديث»؟

إن كثيرًا من الأئمة كشيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله تعالى- وغيره من العلماء قبله وبعده، يذكرون أهل الحديث وأهل السنة؛ مبينين اعتقادهم، ولا يفرقون بين المصطلحين.

فهذا الإمام الصابوني-رحمه الله تعالى- يقول في عقيدته: «إن أصحاب الحديث المتمسكين بالكتاب والسنة -حفظ الله أحياءهم، ورحم الله أمواتهم- يشهدون لله

تعالى بالوحدانية وللرسول صلى الله عليه وسلم بالرسالة والنبوة.... إلى أن يقول: «وقد أعاذ الله أهل السنة من التحريف والتكييف والتشبيه، ومن عليهم بالتعريف والتفهيم».

فعبر بكل من المصطلحين عن الآخر؛ مما يدل على أنهما يترادفان ولاسيما إذا ذكرا في كتب الاعتقاد؛ لأن اعتقادهما واحد، وهو ما جاء في الحديث والسنة، وهما بمعنى واحد.

وشيخ الإسلام ابن تيمية مثلًا-رحمه الله تعالى- يقول: "مذهب السلف أهل الحديث والسنة والجماعة"؛ فيقرن بين أهل السنة وأهل الحديث ويجعلهما شيئًا واحدًا.

الطائفة المنصورة:

(أ) أصل إطلاق هذا اللقب:

هذا اللقب مستفاد من قول المصطفى صلى الله عليه وسلم الذي رواه عنه المغيرة بن شعبة رضي الله عنه: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون». (البخاري:٧٣١١).

وما رواه معاوية بن قرة، عن أبيه: «لا تزال طائفة من أمتي منصورين، لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة». (الترمذي وصححه الألباني).

هذا هو المراد بهذا اللقب، وهذا هو أصل إطلاقه أننا نقول «الطائفة المنصورة».

(ب) من المرادون بهذا اللقب؟

ومما تجدر الإشارة والتنبيه عليه هنا، أن لقب «الطائفة المنصورة» يفسره أهل العلم من السلف بأنهم هم أصحاب الحديث.

لقد بين السلف (رحمهم الله) المراد بهذا اللقب، فقال عبد الله بن المبارك-رحمه الله تعالى-: هم عندي أصحاب الحديث.

وقال يزيد بن هارون: إن لم يكونوا أصحاب الحديث فلا أدري من هم؟! يعني: «الطائفة المنصورة» الواردة في حديث: لا تزال طائفة من أمتي منصورين».

وقال علي بن المديني: هم أصحاب الحديث.
وقال الإمام أحمد بن حنبل: إن لم تكن هذه الطائفة المنصورة أصحاب الحديث؛ فلا أدري من هم؟! قال الحافظ ابن حجر: سنده صحيح، وقال الإمام البخاري-رحمه الله تعالى-: وهم أهل العلم.

وروى الخطيب البغدادي عنه بسنده أنه قال -يعني: أصحاب الحديث- ولا منافاة أبدًا بين القولين؛ فإن أهل الحديث من أهل العلم ولا شك.

وقال أحمد بن سنان: هم أهل العلم وأصحاب الآثار.

هذه كلمات في المراد بهذه الطائفة المنصورة أو بلقب «الطائفة المنصورة»، وقد بينا المراد بأهل الحديث؛ وهم الذين يروونه رواية ودراية، علمًا وعملًا واتباعًا.

تفصيل القول في «أهل الحديث»:

بين العلماء المراد بالطائفة المنصورة بأنهم هم أهل الحديث؛ ولذلك أقول تبعًا لهذا بأن أهل الحديث هم الذين يستحقون النصر والظهور لماذا؟! لنصرتهم سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعملهم بها، وذبهم عنها، فهم أولى الناس حقيقة بأن يطلق عليهم هذا اللقب- أي: لقب «الطائفة المنصورة»- كما قال أبو عبد الله الحاكم- بعد أن ذكر قول الإمام أحمد في الطائفة المنصورة السابق-: «فلقد أحسن أحمد بن حنبل في تفسير هذا الخبر أن الطائفة المنصورة التي يرفع الخذلان عنهم إلى قيام الساعة، هم أصحاب الحديث، ومن أحق بهذا التأويل من قوم سلكوا محجة الصالحين، واتبعوا آثار السلف الماضين، ودفعوا أهل البدع والمخالفين بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم».

وأهل الحديث بهذا المعنى هم أهل السنة، ولهذا قال القاضي عياض-رحمه الله تعالى الله-، عقب قول الإمام أحمد السابق: إنما أراد أحمد أهل السنة والجماعة ومن يعتقد مذهب أهل الحديث.

فأهل الحديث في تفسير السلف للطائفة المنصورة: هم أهل السنة والجماعة، فهم الطائفة المنصورة؛ ولهذا نرى كثيرًا من أهل العلم يطلق اسم الطائفة المنصورة على أهل السنة والجماعة.

والحمد لله رب العالمين.

اللهم إنَّا نعوذ بكَ من الحَوْرِ بعد الكور

إعداد أ. د محمد حامد

الأستاذ المساعد بقسم التفسير
وعلوم القرآن بالأزهر

الحمد لله ربِّ العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد: فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يتعوذ بالله عز وجلَ من الحَوْر بعد الكور

أخرج مسلم في صحيحه(حديث١٣٣٤) عَنْ عَبْد اللهِ بْنِ سَرْجِسَ رضي الله عنه ، قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا سَافَرَ يَتَعَوَّذُ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ، وَكَآبَةِ الْمُنْقَلَبِ، وَالْحَوْرِ بَعْدَ الْكَوْرِ، وَدَعْوَةِ الْمَظْلُومِ، وَسُوءِ الْمَنْظَرِ فِي الْأَهْلِ وَالْمَالِ»، وجاء أيضا بلفظ: " وَالْحَوْرِ بَعْدَ الكَوْنِ".

قال الترمذي رحمه الله بعد إخراجه هذا الحديث في سننه حديث٣٤٣٩:" ومعنى قوله: الحور بعد الكون، أو الكور، وكلاهما له وجه، يقال: إنما هو الرجوع من الإيمان إلى الكفر، أو من الطاعة إلى المعصية، إنما يعني الرجوع من شيء إلى شيء من الشر".

وقال النووي في شرح مسلم(١١٢/٩):" هذا كلام الترمذي وكذا قال غيره من العلماء معناه بالراء والنون جميعا الرجوع من الاستقامة أو الزيادة إلى النقص قالوا ورواية الراء مأخوذة من تكوير العمامة وهو لفها وجمعها، ورواية النون مأخوذة من الكون مصدر كان يكون كونًا إذا وجد واستقر".

وحاصل الأمر أنّ النبي صلى الله عليه وسلم وهو أثبت الناس على الإيمان والطاعة، وأعظمهم استقامة يستعيذ بالله تعالى من أن تتحول حاله من الزيادة إلى النقص، ومن الطاعة إلى المعصية، وما أحوجنا إلى هذا التعوذ بعد شهر رمضان الذي أقبلنا فيه على طاعة الرحمن، وأقلعنا فيه عن المعاصي والآثام.

وواقع كثير من الناس بعد رمضان هو الحور بعد الكور، والادبار بعد الإقبال، والنقص بعد الزيادة، والمعصية بعد الطاعة، ونسأل الله السلامة.

والجدير بالعبد إذا ذاق حلاوة الايمان في

شهر رمضان، أن يحافظ عليها بالمواظبة على الطاعة ولزوم الاستقامة وهذه أعظم الكرامة ، ودليل الثبات على الهداية.

وبعض الناس يعاهد الله في رمضان على التوبة والأوبة والإقلاع عن المعصية، والمواظبة على الطاعة ثم سرعان ما ينقض عهده، ويخلف وعده، وقد حذرنا رب العزة سبحانه من النكوص على الأعقاب، والإعراض بعد الاقتراب، ونقض العهد بعد الإبرام فقال سبحانه: « وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا" »(سورة النحل:٩٢)، وقد" شبهت هذه الآية الذي يحلف أو يعاهد أو يبرم عُقدة بالمرأة التي تغزل غزلها وتفتله محكما، وشبه الذي ينقض عهده بعد الإحكام بتلك الغازلة إذا نقضت قوى ذلك الغزل فحلته بعد إبرامه"(المحرر الوجيز لابن عطية(٣/٤١٧)).

وقد علمنا نبينا صلى الله عليه وسلم أهمية الثبات على العمل الصالح وفضل المداومة عليه فقال صلى الله عليه وسلم: «سَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَاعْلَمُوا أَنْ لَنْ يُدْخِلَ أَحَدَكُمْ عَمَلُهُ الْجَنَّةَ، وَأَنَّ أَحَبَّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ»(أخرجه البخاري في صحيحه حديث(٦٤٦٤))، وقال صلى الله عليه وسلم «يا أَيُّها النَّاسُ عليكُم منَ الأعْمالِ ما تطيقون، فإنَّ الله لا يمل حتى تملوا، وإنَّ أحبَّ الأعْمال إلى الله ما دُووِمَ عليه، وإنْ قلَّ»(أخرجه مسلم في صحيح حديث(٧٨٢)).

ولنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم الأسوة الحسنة، فقد كان عمله صلى الله عليه وسلم ديمة كما قالت أم المؤمنين عائشة(أخرجه البخاري (١٩٨٧، ومسلم(٧٨٣))، وقالت أيضا : «كانَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ إذا عَمِلَ عَمَلًا أَثْبَتَهُ، وَكانَ إذا نَامَ مِنَ اللَّيْلِ، أَوْ مَرِضَ، صَلَّى مِنَ النَّهَارِ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً» (أخرجه مسلم في صحيحه(٧٤٦)(فانظر - أرشدك الله لطاعته- إلى حرصه صلى الله عليه وسلم على ورده، واستدراكه ما فاته منه ولو بسبب المرض؛ لتعلم أهمية الثبات على الطاعة، والاستمرار عليها، وقد تعلم آل بيته صلى الله عليه وسلم منه ذلك، وتعلمه أيضا أصحابه رضي الله عنهم.

قالت عائشة رضي الله عنها:" وكَانَ آلُ مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم إذا عملوا عملا أَثْبَتُوهُ"(أخرجه مسلم في صحيحه(٧٨٢)).

وعن علي رضي الله عنه أنَّ فاطمة عليها السَّلَامُ اشْتَكَتْ ما تَلْقَى مِنَ الرَّحَى ممَّا تطحَنُ، فَبَلَغَهَا أنَّ رَسولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ أُتِيَ بسَبْيٍ، فأتَتْهُ تَسْأَلُهُ خَادِمًا، فَلَمْ تُوَافِقْهُ، فَذَكَرَتْ لِعَائِشَةَ، فَجَاءَ النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فَذَكَرَتْ ذلكَ عَائِشَةُ له، فأتَانَا، وقدْ دَخَلْنَا مَضَاجِعَنَا، فَذَهَبْنَا لِنَقُومَ، فَقالَ: «علَى مَكَانِكُمَا» . حتَّى وجَدْتُ بَرْدَ قَدَمَيْهِ علَى صَدْرِي، فَقالَ: «ألَا أدُلُّكُما علَى خَيْرٍ ممَّا سَأَلْتُمَاهُ، إذَا أخَذْتُما مَضَاجِعَكُما فَكَبِّرَا اللَّهَ أرْبَعًا وثَلَاثِينَ، واحْمَدَا ثَلَاثًا وثَلَاثِينَ، وسَبِّحَا ثَلَاثًا وثَلَاثِينَ، فإنَّ ذلكَ خَيْرٌ لَكُما ممَّا سَأَلْتُمَاهُ»

وفي رواية بعد سوق هذا الحديث قال عليٌّ: ما تَرَكْتُهُ مُنْذُ سَمِعْتُهُ مِنَ النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، قيلَ له: ولَا لَيْلَةَ صِفِّينَ؟ قالَ: ولَا لَيْلَةَ صِفِّينَ. وفي حديث عطاء، عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنِ ابْنِ أبِي لَيْلَى، قالَ: قُلتُ له: ولَا لَيْلَةَ صِفِّينَ(أخرجه البخاري في صحيحه(حديث رقم٣١١٣و٥٣٦٢))، ومسلم في صحيحه(٢٧٢٧)).

و"مراده أنه لم يشتغل مع ما كان فيه من الشغل بالحرب عن قول الذكر المشار إليه.... والمراد بليلة صفين الحرب التي كانت بين علي ومعاوية رضي الله عنهما بصفين وهي بلد معروف بين العراق والشام وأقام الفريقان بها عدة أشهر"﴿فتح الباري(١١/١٢٣)﴾.

وصفوة القول أنَّ الثبات على الطاعة والاستقامة عليها منهج الصالحين وسبيل المتقين، فإذا أكرمك الله في شهر رمضان فصمت نهاره وقمت ما تيسر من ليله، وقرأت القرآن وذكرت الرحمن، وعرفت بالإحسان، فلا تفرط بعد رمضان فتكون ممن تلبس بالحور بعد الكور .

ويعينك على ذلك أمورٌ من أهمها:

١-سؤال الله الثبات، والاستقامة، والإعانة.

قال تعالى: « وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا

بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ (٧) رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ »(سورة آل عمران:٧-٨).

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول: « يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك »رواه الترمذي وصححه الألباني في الصحيحة.

٢- المحافظة على الفرائض والواجبات وترك الآثام والمحرمات.

إن أولى ما على العبد أن يحرص على فعله الفرض والواجب، كما أن أهم ما عليه أن يجتنبه المحرم فإذا حافظ على أداء الواجبات، وترك المحرمات سهل عليه ما بعدهما من فعل المستحبات وترك المكروهات. ويخطئ كثير من الناس حين يتساهلون فيفرطون في أداء الواجبات بدعوى أنهم مصابون بالفتور أو الكسل، والحق أن الفتور وارد على الإنسان لا يكاد يسلم منه في بعض الأوقات بيد أن الموفق يجاهد نفسه على أداء الواجب وترك المحرم، ثم إذا وجد همة ونشاطا ازداد طاعة وحرص على المداومة عليها.

أخرج أحمد في مسنده(٦٥٣٩) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: ذُكِرَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رِجَالٌ يَجْتَهِدُونَ فِي الْعِبَادَةِ اجْتِهَادًا شَدِيدًا، فَقَالَ: " تِلْكَ ضَرَاوَةُ الْإِسْلَامِ وَشِرَّتُهُ، وَلِكُلِّ ضَرَاوَةٍ شِرَّةٌ، وَلِكُلِّ شِرَّةٍ فَتْرَةٌ، فَمَنْ كَانَتْ فَتْرَتُهُ إِلَى اقْتِصَادٍ وَسُنَّةٍ فَلِأُمٍّ مَا هُوَ، وَمَنْ كَانَتْ فَتْرَتُهُ إِلَى الْمَعَاصِي، فَذَلِكَ الْهَالِكُ " فتأمل قوله صلى الله عليه وسلم:" إلى اقتصاد وسنة" فإنها في مقابلة الحدة التي لا بد للإنسان من التقصير عنها والخروج منها إلى غيرها، بخلاف ما لو كلف نفسه ما يطيق فإنه يتمكن من المداومة عليه أفاده الطحاوي في شرح مشكل الآثار(٣/ ٢٧٠).

٣- عدم تكليف النفس بما لا تطيق فعله أو المواظبة عليه.

لا يحسن بالمرء أن يشدد على نفسه فيكلفها بما لا يطيقه أو بما لا يقدر على المداومة عليه عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: دَخَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِذَا حَبْلٌ مَمْدُودٌ بَيْنَ السَّارِيَتَيْنِ، فَقَالَ: « مَا هَذَا الحَبْلُ؟ » قَالُوا: هَذَا حَبْلٌ لِزَيْنَبَ فَإِذَا فَتَرَتْ تَعَلَّقَتْ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « لاَ. حُلُّوهُ لِيُصَلِّ أَحَدُكُمْ نَشَاطَهُ، فَإِذَا فَتَرَ فَلْيَقْعُدْ »(أخرجه البخاري في صحيحه(١١٥٠)، ومسلم في صحيحه(١٦٤٣)).

ومن أجل هذا قرن النبي صلى الله عليه وسلم بين الأمر بالأخذ من العمل بما نطيق، والحث على المداومة على العمل لأن من كلف نفسه ما يطيق واستعان بالله وسأله التوفيق سهلت عليه الطاعة وصار من أهل الاستقامة.

ومن رحمة الله بعباده أن كلفهم بما يستطيعون، ورفع عنهم الآصار والأغلال ، ورضي منهم بفعل ما وعظهم به ووعدهم عليه بالأجر والهداية قال تعالى: « وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا (٦٦) وَإِذًا لَآتَيْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا (٦٧) وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا (٦٨) »

ثم رغب سبحانه في طاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم فقال عز وجل: « وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا (٦٩) ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا » (سورة: النسا:٦٩-٧٠).

٤- اقتفاء أثر النبي صلى الله عليه وسلم واتباع هديه في العبادة والسلوك.

إنَّ المطلوب من العبد أن يحسن عمله، وحسن العمل ما توافر فيه شرطان : الإخلاص والاتباع.

قال تعالى: « فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا »(سورة الكهف:١١٠).

وهدي النبي صلى الله عليه وسلم قائم

على القصد والعدل وهو وسط بين الإفراط والتفريط، والغلو والجفاء؛ ولذا أمرنا النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «عليكم هديًا قاصدًا، عليكم هديًا قاصدًا، عليكم هديًا قاصدًا، فإنه من يشادّ هذا الدين يغلبه» . أخرجه أحمد في مسنده(٢٢٩٦٣) وصححه محققوه.

قال الطحاوي في شرح مشكل الآثار(٣/٢٦٢): " فكان الهدي القاصد في هذا هو في الأشياء المراد بها التقرب إلى الله عز وجل، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم فيها بالقصد ليدوم ذلك من أهله".

وقد أنكر النبي صلى الله عليه وسلم على من رغب عن سنته فمنع نفسه من المباح، أو شدد على نفسه في الطاعة عن أنس رضي الله عنه قال: جاءَ ثَلاثَةُ رَهْطٍ إلى بُيُوتِ أزْوَاجِ النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، يَسْأَلُونَ عن عِبَادَةِ النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأنَّهُمْ تَقَالُّوهَا، فَقالوا: وأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ؟ قدْ غُفِرَ له ما تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِهِ وما تَأَخَّرَ، قالَ أحَدُهُمْ: أمَّا أنَا فإنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أبَدًا، وقالَ آخَرُ: أنَا أصُومُ الدَّهْرَ ولَا أُفْطِرُ، وقالَ آخَرُ: أنَا أعْتَزِلُ النِّسَاءَ فلا أتَزَوَّجُ أبَدًا، فَجَاءَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ إليهِم، فَقالَ: «أنْتُمُ الَّذِينَ قُلتُمْ كَذَا وكَذَا، أما واللَّهِ إنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وأَتْقَاكُمْ له، لَكِنِّي أصُومُ وأُفْطِرُ، وأُصَلِّي وأَرْقُدُ، وأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فمَن رَغِبَ عن سُنَّتي فليسَ مِنِّي» «أخرجه البخاري في صحيحه(٥٠٦٣)، ومسلم في صحيحه(١٤٠١)».

٥- كثرة ذكر الله عز وجل.

يغفل كثير من الناس عن هذه الحقيقة وهي أن كثرة ذكر الله عز وجل خير معين للعبد على الاستقامة ولزوم الطاعة والمحافظة عليها ودليل ذلك ما أخرجه الترمذي في سننه وحسنه (٣٣٧٥) وصححه الألباني، وابن حبان في صحيحه(٨١٤) عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ بُسْرٍ، أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ شَرَائِعَ الإِسْلَامِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ، فَأَخْبِرْنِي بِشَيْءٍ أَتَشَبَّثُ بِهِ، قَالَ: «لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللهِ».

وبيان ذلك أن ذكر الله عز وجل يعطي صاحبه قوة على الطاعة، ورغبة فيها، ويجعله في يقظة ؛فلا يغفل ولا يُعرض، كما أنه يطرد الشيطان، ومن ثمَّ أوصى الرسول صلى الله عليه وسلم بهذه الوصية الجليلة، ولا يخفى عليك أنه ليس في الحديث ما يدل على أن الذكر مغن عن فعل الواجبات وأداء الفرائض، وإنما هو محمول على النوافل بدليل قوله :" إن شرائع الإسلام قد كثرت عليَّ" كما قرره جماعة من أهل العلم وقالوا:" ولم يُرد أنه يترك شرائع الإسلام رأسا بل طلب ما يتشبث به بعد الفرائض عن سائر ما لم يفترض عليه"﴿ينظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح(٤/١٥٥٨)، وتحفة الأحوذي(٩/٢٢)﴾.

والمتأمل في القرآن الكريم يجد أن رب العزة سبحانه أمرنا بالإكثار من الذكر ، ودعانا إلى تعميم الوقت به فقال سبحانه:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (٤١) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ ﴿سورة الأحزاب:٤١-٤٢﴾، وقال تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾﴿سورة الجمعة:١٠﴾، وفي الأمر بالإكثار من الذكر بعد الفراغ من سماع الذكر في المساجد في الخطبة والصلاة دلالة على أنه من العبادات التي لا تقتصر على مكان أو زمان، وأنه أمان للإنسان وحصن يحتمي به عند خروجه للسعي في الأرض والتماس أبواب الرزق؛ ومن أجل هذا كان الإكثار من الذكر طريق الفلاح، وخير معين للثبات على الهداية والصلاح.

هذه خمسة أمور تعين العبد على الاستمرار على الطاعة، ويسلم بها من الحور بعد الكور، ومن النقص بعد الزيادة ، وثَمَّ غيرها لم يتسع المقام بذكرها، ولعلي أعرض لها في مقام آخر بإذن الله تعالى.

نسأل الله الثبات على الطاعات والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

بـركة النبي صلى الله عليه وسلم

إعداد: د. جمال المراكبي

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في مسير قال: فنفدت أزواد القوم قال: حتى هم بنحر بعض حمائلهم. قال: فقال عمر يا رسول الله، لو جمعتَ ما بقِيَ من أزواد القوم، فدعوْتَ اللهَ عليها، قال: ففعل، قال: فجاء ذو البُرِّ ببُرِّه، وذو التَّمرِ بتمره، قال: وقال مُجاهدٌ: وذو النَّواةِ بنواهُ، قلتُ: وما كانوا يَصنَعونَ بالنَّوى؟ قال: كانوا يَمُصُّونَه ويَشرَبونَ عليه الماءَ.. قال: فدعا عليها، حتّى ملأ القومُ أزْوِدَتهم، قال: فقال عندَ ذلك: أشهدُ أنْ لا إلهَ إلّا اللهُ، وأنّي رسولُ اللهِ، لا يَلْقى اللهَ بهما عبْدٌ غيرُ شاكٍّ فيهما إلّا دخلَ الجنَّةَ.

عن أبي صالح عن أبي هريرة.. أو عن أبي سعيد.. شك الأعمش

لمّا كان غزوةُ تبوكَ أصاب النّاسَ مجاعةٌ فقالوا: يا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم لو أذنْتَ لنا فنحرْنا نواضحَنا فأكلْنا فقال لهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: (افعَلوا) فجاء عُمَرُ رضوانُ الله عليه وقال: يا رسولَ اللهِ إنَّهم إنْ فعَلوا قلَّ الظَّهرُ ولكنِ ادعُهم بفضلِ أزْوِدَتهم ثمَّ ادعُ عليها بالبركةِ لعلَّ اللهَ أنْ يجعَلَ في ذلك قال: فدعا رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم بنطَعٍ فبسَطْتُه ثمَّ دعاهم بفضلِ أزْوِدَتهم قال: فجعل الرَّجُلُ يجيءُ بكفِّ الذُّرةِ والآخَرُ بكفِّ التَّمرِ والآخَرُ بكِسرةٍ حتّى اجتمَع على النِّطعِ من ذلك يسيرٌ قال: فدعا عليه صلى الله عليه وسلم بالبركة ثمَّ قال: (خُذوا في أوعيتِكم) فأخَذوا في أوعيتِهم حتّى ما تركوا في العسكرِ وعاءً إلّا ملؤوه وأكلوا حتّى شبِعوا وفضَل منه فَضْلةٌ قال: فقال رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: (أشهَدُ أنْ لا إلهَ إلّا اللهُ وأنّي رسولُ اللهِ لا يَلقى اللهَ بهما عبدٌ غيرُ شاكٍّ فيُحجَبَ عنِ الجنَّةِ) رواهما مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان. باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعًا.

قوله: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في مسير، فنفدت أزواد القوم.

المسير: السير، يريد به السفر، وفسر في الرواية الثانية بسفر غزوة تبوك وهي آخر غزوة غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك سنة تسع من الهجرة، وتسمى بغزوة العسرة، وتبوك في أطراف الشام،

وخرج النّاس مع النبي صلى الله عليه وسلم في أعداداً ضخمة بلغوا ثلاثين ألفا وأصابتهم مجاعة، وقل الزاد حتى قيل: فني الزاد.

فنفدت أزواد القوم: أي فرغت وفنيت ومنه قوله تعالى: « قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا » الكهف: (١٠٩)

والحمائل: جمع حمولة بفتح الحاء وهي من الإبل التي تحمل الركبان والمتاع والزاد والماء. ويقال للتي تحمل الركبان: رواحل وهي من أجود الإبل؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إنما الناس كالإبل المائة، لا تكاد تجد فيها راحلة». البخاري.

ولفظه في مسلم «تجدون الناس كإبلِ مائة، لا يجد الرجل فيها راحلة».

قال تعالى: « وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ » (الأنعام: ١٤٢).

والحمولة هي: الإبل التي تحمل عليها الأثقال، وتسمى رواحل؛ لأنها يرحل عليها، وتسمى نواضح؛ إذا استقي عليها.

والبعير ناضح، والناقة ناضحة.

قوله: " وذو النواة بنواه "كذا الرواية، ووجهه: وذو النوى بنواه، كما قال: وذو البر ببره، وذو التمر بتمره.

وقوله: " حتى ملأ القوم أزودتهم " هكذا الرواية، وصوابه: مزاودهم؛ فإنها هي التي تملأ بالأزودة.

والأزودة جمع زاد، فسمى المزاود أزودة باسمها؛ لأنها تجعل فيها على عادتهم في تسميتهم الشيء باسم الشيء إذا جاوره، أو كان منه بسبب، وقد عبر عنها في الرواية الأخرى بالأوعية.

وقوله: " حتى هم بنحر بعض حمائلهم " يعني: النبي صلى الله عليه وسلم؛ كان هذا الهم من النبي صلى الله عليه وسلم بحكم النظر المصلحي لا بالوحي ألا ترى كيف عرض عمر بن الخطاب عليه مصلحة أخرى، ظهر للنبي- صلى الله عليه وسلم- رجحانها؛ فوافقه عليها وعمل بها.

قال القرطبي: فيه دليل على العمل بالصالح، وعلى سماع رأي أهل العقل والتجارب، وعلى أن الأزواد والمياه إذا نفدت أو قلت، جمع الإمام ما بقي منها، وقوتهم به شرعا سواء؛ وهذا كنحو ما مدح به النبي صلى الله عليه وسلم الأشعريين، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن الأشعريين إذا أرملوا في الغزو، أو قل طعام عيالهم بالمدينة جمعوا ما كان عندهم في ثوب واحد، ثم اقتسموه بينهم في إناء واحد بالسوية، فهم مني، وأنا منهم) متفق عليه.

وقوله: " لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيهما، فيحجب عن الجنة " يعني: كلمتي التوحيد أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله.

غير شاك فيهما: يعني مستيقنا بهما دون شك أو ريب.

ويحجب: يمنع.

والحديث دليل على أن اليقين وعدم الشك والريب من شروط كلمة الإخلاص: لا إله إلا الله.

وقد أحصى العلماء شروطا سبعة هي: العلم واليقين والقبول والانقياد والصدق والإخلاص والمحبة.

هذا الحديث من نصوص الوعد التي لابد أن يجمع مع غيره من نصوص الوعيد الدالة على أن طائفة من أهل التوحيد ممن جاء بالشهادتين يدخلون النار ثم يخرجون منها بالشفاعة أو بما شاء الله تعالى، فالحديث وما في معناه من الأحاديث التي تفيد دخول الجنة لكل من جاء بكلمة التوحيد لأهل العلم فيها تأويلان:

الأول: أن هذا العموم يراد به من امتن الله تعالى عليهم بعفوه من أهل الكبائر بأن غفر لهم ابتداءً وأدخلهم الجنة كما قال تعالى: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ» (النساء: ١١٦).

الثاني: أن معناه إن مَنْ مات على التوحيد فإن مآله إلى الجنة ولو عُذب في النار فإنه سيخرج منها ويخلد في الجنة.

وهذان التأويلان فيمن لقي الله مُقراً بكلمة التوحيد لكنه مرتكب الكبائر لم يتب منها.

أما من لقي الله تعالى مقراً بكلمة التوحيد بريئًا من الكبائر فلا شك أن ظاهر هذه النصوص تتناوله بلا تأويل.

والحديث دليل على بركة النبي صلى الله عليه وسلم وبركة دعائه.

ودليل على أن النبي صلى الله عليه وسلم يجتهد فيما يتعلق بالأمور غير الشرعية التي ينزل بها الوحي، فهو أذن لهم أن ينحروا إبلهم، ولما أشار عليه عمر بخلاف ذلك أخذ برأي عمر وهذا من حسن خلقه صلى الله عليه وسلم.

وفي الحديث دليل علي حسن توكل النبي صلى الله عليه وسلم على ربه عز وجل واعتماده عليه وثقته في كفاية الله عز وجل له في كل أحواله ولهذا قبل اقتراح بعض الأصحاب بنحر بعض الإبل ولم يخش في ذلك عنتًا كما خشي عمر.

ولما عرض عليه عمر الاقتراح الثاني قبله لأن فيه التيسير على أصحابه بحفظ الرواحل والنواضح، وفيه أيضا ثقة النبي صلى الله عليه وسلم بأن الله سيستجيب له على الفور من غير تأجيل أو تراخ.

والحديث دليل على ما كان عليه الصحابة من التقلل وعدم بسط الدنيا عليهم وذلك بقلة أزوادهم واكتفائهم بأقل الطعام ومن ذلك أنهم كانوا يمصون النواة ويشربون عليها الماء.

قال القرطبي: وظاهر الحديث: أن من لقي الله وهو يشهد أن لا إله إلا الله وحده، دخل الجنة، ولا يدخل النار، وهذا صحيح فيمن لقي الله تعالى بريئا من الكبائر.

فأما من لقي الله تعالى مرتكبًا كبيرة ولم يتب منها، فهو في مشيئة الله تعالى التي دل عليها قوله تعالى: « إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ » (النساء: ٤٨)؛ وقد جاءت الأحاديث الكثيرة الصحيحة المفيدة بكثرتها ـحصول العلم القطعي: أن طائفة كثيرة من أهل التوحيد يدخلون النار، ثم يخرجون منها بالشفاعة، أو بالتفضل المعبر عنه بالقبضة في الحديث الصحيح، أو بما شاء الله تعالى، فدل ذلك على أن الحديث المتقدم ليس على ظاهره، فيتعين تأويله.

ولأهل العلم فيه تأويلان:

أحدهما: أن هذا العموم يراد به الخصوص ممن يعفو الله تعالى عنه من أهل الكبائر ممن يشاء الله تعالى أن يغفر له ابتداء من غير توبة كانت منهم، ولا سبب يقتضي ذلك غير محض كرم الله تعالى وفضله؛ كما دل عليه قوله تعالى: «ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء».

وهذا على مذهب أهل السنة والجماعة؛ خلافا للمبتدعة من الخوارج والمعتزلة وأذنابهم المانعين تفضل الله تعالى بذلك، وهو مذهب مردود بالأدلة القطعية العقلية والنقلية.

وثانيهما: أنهم لا يحجبون عن الجنة بعد الخروج من النار، وتكون فائدته الإخبار بخلود كل من دخل الجنة فيها، وأنه لا يحجب عنها، ولا عن شيء من نعيمها، والله تعالى أعلم.

والحمد لله رب العالمين.

عيد الفطر المبارك

يتقدم مجلس إدارة المركز العام لجمعية أنصار السنة المحمدية وأسرة مجلة التوحيد إلى العالم الإسلامي عامة، وإلى فروع الجمعية وقراء المجلة خاصة، بالتهنئة بحلول عيد الفطر المبارك.

سائلين الله تعالى أن يعيده على الإسلام والمسلمين بالنصر والتمكين وأن يحفظ بلاد المسلمين من كل مكروه وسوء.

من أخبار الجماعة

في إطار خطة مجلس إدارة المركز العام للتواصل بالفروع، عقد مجلس إدارة المركز العام لجمعية أنصار السنة المحمدية جلسته رقم (٥)، بتاريخ: ١٣ رمضان ١٤٤٥هـ، الموافق: ٢٣ مارس ٢٠٢٤م، بفرع منشأة البكاري، بالهرم، ذلكم الفرع الذي عاصر جمعية أنصار السنة المحمدية منذ نشأتها.

وقد أشاد المجلس بالدور الدعوي، والخيري، والاجتماعي، الذي يقوم به الفرع، حيث شاهد المجلس مشروع إفطار الصائم الذي يُقدمه الفرع لما يزيد على خمسمائة أسرة يوميًا، وكذلك الإفطار الجماعي للأيتام المكفولين بالفرع، والذي يزيد عددهم عن ثلاثمائة يتيم بخلاف أمهاتهم.

بارك الله في هذه الجهود، ورزقنا جميعًا الإخلاص.

مدير إدارة العلاقات العامة

أ. رجب عبد التواب عبد الفتاح

عيد فطر سعيد

أوَّل عِيد فطر يَمُرُّ عَلَى المُسْلمِين

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.. أما بعد:

فمن أحداث السنة الثانية من الهجرة صلاة أول عيد فطر للمسلمين، ولا يفوتنا، ونحن في شهر العيد أن نقف وقفة؛ مع هذا الحدث العظيم؛ لنشهد العيد، وهديَ النبي صلى الله عليه وسلم فيه؛ فنفرح ونسعد بفضل ورحمته، ونتبع النبي صلى الله عليه وسلم في شرعته.

إعداد **د. سيد عبد العال**
إمام وخطيب بوزارة الأوقاف

أولا: استهلال ومناسبة بديعة "فرحة العيد وفرحة النصر"

قَالَ المُبارَكْفُوري: وَمِنْ أَحْسَنِ المَوَاقِعِ أَنَّ أَوَّلَ عِيدٍ تَعَيَّدَ بِهِ المُسْلِمُونَ فِي حَيَاتِهِمْ هُوَ العِيدُ الَّذِي وَقَعَ فِي شَوَّالٍ مِنَ السَّنَةِ الثَّانِيَةِ لِلْهِجْرَةِ، إِثْرَ الفَتْحِ المُبِينِ الَّذِي حَصَلُوا عَلَيْهِ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ، فَمَا أَرْوَعَ هَذَا العِيدَ السَّعِيدَ الَّذِي جَاءَ بِهِ اللهُ بَعْدَ أَنْ تَوَّجَ هَامَتَهُمْ بِتَاجِ الفَتْحِ وَالعِزِّ، وَمَا أَرْوَقَ مَنْظَرَ تِلْكَ الصَّلَاةِ الَّتِي صَلَّوْهَا بَعْدَ أَنْ خَرَجُوا مِنْ بُيُوتِهِمْ يَرْفَعُونَ أَصْوَاتَهُمْ بِالتَّكْبِيرِ، وَالتَّهْلِيلِ وَالتَّحْمِيدِ، وَقَدْ فَاضَتْ قُلُوبُهُمْ رَغْبَةً إِلَى اللهِ تَعَالَى، وَحَنِينًا إِلَى رَحْمَتِهِ وَرِضْوَانِهِ بَعْدَمَا أَوْلَاهُمْ مِنَ النِّعَمِ، وَأَيَّدَهُمْ بِهِ مِنَ النَّصْرِ، وَقَدْ ذَكَّرَهُمْ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِذَلِكَ فَقَالَ: «وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ أَنتُمۡ قَلِيلٞ مُّسۡتَضۡعَفُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمۡ وَأَيَّدَكُم بِنَصۡرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ». الأنفال آية (٢٦). (الرحيق المختوم (٢١١)).

فاللهم مُنَّ على إخواننا المجاهدين في سبيلك في غزة، بالنصر، والتمكين، واجعل فرحتنا جميعًا في هذا العيد فرحة بالنصر والعز للإسلام والمسلمين، وبتحرير المسجد الأقصى من أيدي اليهود يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام.

وعَنْ أنس -رضي الله عنه- قال: قدم رسول

اللهِ-صلى الله عليه وسلم- المدينة، ولهُم يومان يلعبون فيهما في الجاهلية، فقال- صلى الله عليه وسلم-: "إنَّ الله قد أبدلكم بهما خيرًا منهما: يومَ الفطر، ويومَ النحر". صحيح أخرجه أحمد (١٢٠٠٦).

وقال ابن الأعرابي: "سمي العيد عيداً؛ لأنه يعود كل سنة بفرح مجدَّد". لسان العرب (٣١٧/١٣ - ٣١٩).

والعيد: هو يوم إعادة الاحتفال بذكرى سارة، والمسلمون لهم ثلاثة أعياد لا رابع لها: عيد الفطر، وعيد الأضحى، ويوم الجمعة. فتاوى اللجنة الدائمة (٣١٧/٨).

ثانيا: الأصل في صلاة العيدين: الكتاب، والسنة، والإجماع:

أما الكتاب: فقوله تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾. قال ابن قدامة: المشهور في التفسير أن المراد بذلك صلاة العيد.

وأما السنة، فثبت بالتواتر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يُصلي صلاة العيدين ومنه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "شهدت العيد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم". صحيح البخاري (٩٦٢).

وأما الإجماع، فأجمع المسلمون على صلاة العيدين. المغني (٢٧٢/٢).

ثالثا: آداب صلاة العيد على النحو الآتي:

١- الغسل يوم العيد، وهذا ثبت من فعل الصحابة- رضي الله عنهم-، فعن نافع أن عبد الله بن عمر كان يغتسل يوم الفطر قبل أن يغدو إلى المصلى.

قال العلامة الألباني: "وأحسن ما يستدل به على استحباب الاغتسال للعيدين، ما روى البيهقي من طريق الشافعي عن زاذان، قال: سأل رجل علياً عن الغسل؟ قال: "اغتسل كل يوم إن شئت" فقال: لا، الغسل الذي هو الغسل؟ قال: "يوم الجمعة، ويوم عرفة، ويوم النحر، ويوم الفطر". صحيح عن عليّ إرواء الغليل (١٧٧/١).

٢- يستحب أن يتنظف، ويتطيب، ويتسوك، كما في الجمعة؛ لحديث ابن عباس قالَ: قالَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: "إنَّ هذا يومُ عيد، جعله الله للمُسلمين، فمَن جاء إلى الجُمعة فليغتسل، وإن كان طيبٌ فليمس منه، وعليكم بالسواك" سنن ابن ماجه (١٠٩٨)، وحسنه الألباني.

٣- يلبس أحسن ما يجد: قال الإمام ابن القيم: "وكان يلبس للخروج إليهما أجمل ثيابه، فكان له حلة يلبسها للعيدين والجمعة، ومرة كان يلبس بُردين أخضرين، ومرة بُردا أحمر، وليس هو أحمر مُصمتا كما يظنه بعض الناس" زاد المعاد، (٤٤١/١).

٤- يستحب أن يأكل قبل خروجه إلى المصلى في عيد الفطر تمرات؛ فعن أنس- رضي الله عنه- قال: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يغدو يوم الفطر حتى يأكل تمرات، ويأكلهن وترًا" البخاري (٩٥٣).

قال ابن بطال: الأكل عند الغدو إلى المصلى سنة مستحبة عند العلماء تأسيا بالنبي صلى الله عليه وسلم، وهو قول عامة العلماء. شرح صحيح البخاري (٥٥١/٢).

٥- يخرج إلى العيد ماشيا - إلا لحاجة- وعليه السكينة والوقار:

لحديث سعد أن النبي صلى الله عليه وسلم "كان يخرج إلى العيد ماشيا ويرجع ماشيا" سنن ابن ماجه، (١٢٩٤)، وحسنه الألباني.

٦- السنة أن تُصلَّى صلاة العيدين في المصلى، إلا لحاجة؛ لحديث أبي سعيد الخدري- رضي الله عنه- قال: "كان النبي صلى الله عليه وسلم يخرج يوم الفطر والأضحى إلى المصلى" البخاري (٩٥٦).

قال النووي: هَذَا دَلِيلٌ لِمَنْ قَالَ بِاسْتِحْبَابِ الْخُرُوجِ لِصَلَاةِ الْعِيدِ إِلَى الْمُصَلَّى، وَأَنَّهُ أَفْضَلُ مِنْ فِعْلِهَا فِي الْمَسْجِدِ وَعَلَى هَذَا عَمَلُ النَّاسِ فِي مُعْظَمِ الْأَمْصَارِ وَأَمَّا أَهْلُ مَكَّةَ فَلَا يُصَلُّونَهَا إِلَّا فِي الْمَسْجِدِ مِنَ الزَّمَنِ الْأَوَّلِ. شرح النووي على مسلم (١٧٧/٦).

وإن حصل عذر يمنع الخروج إلى المصلى صلى في المسجد. المغني (٢٦١/٣).

٧- السنة أن يذهب إلى المصلى من طريق

ويرجع من طريق آخر؛ لحديث جابر- رضي الله عنه- قال: "كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا كان يوم عيد خالف الطريق" صحيح البخاري (٩٨٦).

وأعظم الحكم التي يعتمدها المسلم في هذا وغيره: متابعة النبي صلى الله عليه وسلم، وهذه الحكمة أعلى حكمة يقنع بها المؤمن: أن يقال: هذا أمر الله ورسوله، ودليل ذلك قول الله تعالى «لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا».

٨- يستحب للمأموم التبكير إلى مصلى العيد بعد صلاة الصبح، أما الإمام: فيستحب له أن يتأخر إلى وقت الصلاة؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يفعل ذلك، فعن أبي سعيد الخدري- رضي الله عنه- قال: "كان النبي صلى الله عليه وسلم يخرج يوم الفطر والأضحى إلى المصلى، فأول شيء يبدأ به الصلاة... " صحيح البخاري (٩٥٦).

٩- يُكبّر في طريقه إلى مُصلّى العيد ويرفع صوته بالتكبير؛ لقول الله تعالى: «وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ»، وقد جاء أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يخرج يوم الفطر؛ فيكبّر حتى يأتي المصلى، وحتى يقضي صلاته فإذا قضى الصلاة قطع التكبير. صححه الألباني لشواهده في الصحيحة (١٧٠).

١٠- لا نافلة لصلاة العيد قبلية ولا بعدية؛ قال الإمام ابن القيم رحمه الله: "ولم يكن هو صلى الله عليه وسلم ولا أصحابه يصلون إذا انتهوا إلى المصلى شيئا قبل الصلاة ولا بعدها". زاد المعاد (٤٤٣/١)، وانظر: صحيح البخاري (٩٨٩).

١١- لا أذان ولا إقامة لصلاة العيدين؛ لحديث جابر بن سمرة-رضي الله عنه- ، قال: ((صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم العيدين غير مرة ولا مرتين بغير أذان ولا إقامة" مسلم (٨٨٧). وجزم الصنعاني: بأنهما في العيدين بدعة. سبل السلام (٢٢٩/٣).

١٢- لا بأس باللعب بالدف للجواري، واللعب المباح في يوم العيد؛ قال المباركفوري رحمه الله: "الإذن في ذلك للنساء فلا يلحق بهن الرجال؛ لعموم النهي عن التشبه بهن، وكذلك الغناء المباح في العرس مختص بالنساء؛ فلا يجوز للرجال". تحفة الأحوذي (٢١٠/٤).

١٣- خروج النساء إلى مصلى العيد متحجبات غير متطيِّبات؛ لحديث أم عطية رضي الله عنها السابق؛ وقال ابن باز: "وخروج النساء في صلاة العيد سنة وليس بواجب" صلاة العيدين (٤٥).

١٤- خروج الصبيان إلى المصلى؛ ليشهدوا دعوة المسلمين، قال الإمام البخاري رحمه الله تعالى: "باب خروج الصبيان إلى المصلى" عن ابن عباس قال: "خرجت مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم فطر، أو أضحى؛ فصلى العيد، ثم خطب، ثم أتى النساء؛ فوعظهن، وذكرهن، وأمرهن بالصدقة" البخاري (٩٧٥).

١٥- التهنئة بالعيد؛ عن جبير بن نُفير قال: "كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا التقوا يوم العيد يقول بعضهم لبعض: تقبل الله منّا ومنك" قال ابن حجر: إسناد حسن. فتح الباري (٤٤٦/٢).

١٦- يقضي صلاة العيد من فاتته مع الإمام، قال الإمام البخاري رحمه الله: بابٌ إذا فاتته العيد يصلي ركعتين. وكذلك النساء ومن كان في البيوت، والقرى. لقول النبي صلى الله عليه وسلم: "هذا عيدنا أهل الإسلام" صلاة العيدين (٥٠).

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمين والحمد لله رب العالمين.

عاقبة المال الحرام في الدنيا والآخرة

إعداد **الشيخ صلاح نجيب الدق**
فرع بلبيس

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالمِيْنَ، وَالصَّلاةُ والسَّلامُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وعَلَى آله، وأصحابه، والتَّابِعِيْنَ لَهُم بإحْسَانٍ إلى يَوْمِ الدِّينِ. إنَّ معرفة الحلال والحرام فرضٌ على كل مسلم بالغ عاقل ليكون على بصيرة من أمور دينه حتى لا يقع في المحظور ويخالف أحكام الشريعة الإسلامية. إنَّ اكتساب المال الحرام له آثارٌ خطيرة على المسلم في الدنيا ويوم القيامة، فأقول وبالله تعالى التوفيق:

تعريف المال الحرام:

المقصود بالمال الحرام: هو المال الذي اكتسبه المسلم بطريقة نهى عنها الله تعالى في القرآن الكريم، أو نهى عنها النَّبيُّ صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ، في سُنته المباركة.

وصية ربانية بالتحذير من المال الحرام

(١) قال سبحانه وتعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا) (النساء: ٢٩)

(الباطل): اسمٌ جَامِعٌ لكل ما لا يَحلُّ في الشرع، كالربا، والغصب، والسرقة، والخيانة، وكل مُحَرَّم جاء الشرع به.

قال الحافظ ابن كثير رَحمَهُ اللهُ: نَهَى تَبَارَكَ وَتَعَالَى عِبَادَهُ المُؤْمنِينَ عَنْ أَنْ يَأْكُلوا أَمْوَال بَعْضِهِمْ بَعْضًا بالبَاطل، أَيْ: بأَنْوَاع المَكَاسب الَّتي هِيَ غَيْرُ شَرْعيَّة، كَأَنْوَاع الرِّبَا وَالقِمَار، وَمَا جَرَى مَجْرَى ذَلكَ منْ سَائر صُنُوف الحِيَل. (تفسير ابن كثير- ج٢- ص٢٦٨)

(٢) قال الله تعالى: (إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا) (النساء: ١٠)

قَالَ الإمامُ السُّدِّيُّ رحمَهُ اللهُ: إذا قَامَ الرَّجُل يَأْكُلُ مَالَ اليَتيم ظُلْمًا، يُبْعَثُ يَوْمَ القيامة وَلَهَبُ النَّار يَخْرُجُ منْ فيه وَمنْ مَسَامعه ومنْ أُذُنَيْه وَأَنْفه وعَيْنَيْه، يَعْرفُهُ مَنْ رَآهُ يَأْكُلُ مَال اليَتيم. (تفسير الطبري- ج٦- ص٤٥٤)

(٣) قال سبحانه: (وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ (١) ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (٢) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ (٣) أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ (٤) لِيَوْمٍ عَظِيمٍ (٥) يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ) (المطففين١: ٦)

قَوْله تَعَالَى: (وَيْلٌ للمُطَفِّفِينَ): هُوَ الوَادي الَّذي يَسيلُ منْ صَديد أَهْل جَهَنَّمَ في أَسْفَلهَا للَّذينَ يَنْقُصُونَ النَّاسَ، وَيَبْخَسُونَهُمْ حُقُوقَهُمْ

فِي مَكَايِيلِهِمْ إِذَا كَالُوهُمْ، أَوْ مَوَازِينِهِمْ إِذَا وَزَنُوا لَهُمْ عَنِ الْوَاجِبِ لَهُمْ مِنَ الْوَفَاءِ. (تفسير الطبري- ج٢٤- ص١٨٥)

قال الشيخ السعدي رحمه الله: إذا كان هذا الوعيد للذين يبخسون الناس بالمكيال والميزان، فالذي يأخذ أموالهم قهراً أو سرقة، أولى بهذا الوعيد من المطففين. (تفسير السعدي- ص٩١٥)

المال الحرام يمنع إجابة الدعاء:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ. فَقَالَ: (يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ) وَقَالَ: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ) (المؤمنون: ٥١) ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ: يَا رَبِّ يَا رَبِّ وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ فَأَنَّى(كيف) يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ. (مسلم- حديث ١٠١٥).

نبينا صلى الله عليه وسلم يبايع الصحابة على اجتناب الحرام:

عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ: إِنِّي مِنَ النُّقَبَاءِ الَّذِينَ بَايَعُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَالَ: بَايَعْنَاهُ عَلَى أَنْ لَا نُشْرِكَ بِاللَّهِ شَيْئًا، وَلَا نَسْرِقَ، وَلَا نَزْنِيَ، وَلَا نَقْتُلَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ، وَلَا نَنْتَهِبَ، وَلَا نَعْصِيَ، بِالْجَنَّةِ، إِنْ فَعَلْنَا ذَلِكَ، فَإِنْ غَشِينَا مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا، كَانَ قَضَاءُ ذَلِكَ إِلَى اللَّهِ. (البخاري- حديث: ٣٨٩٣/مسلم- حديث: ١٧٠٩)

الله تعالى سوف يسأل العبد عن المال الحرام:

عَنْ أَبِي بَرْزَةَ الْأَسْلَمِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ. (صحيح الترمذي- للألباني- حديث ١٩٧٠)

لا يجوز للعامل أن يكتسب لنفسه مالا بدون إذن صاحب العمل:

عَنْ أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: اسْتَعْمَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلًا مِنْ بَنِي أَسْدٍ يُقَالُ لَهُ ابْنُ الْأُتْبِيَّةِ عَلَى صَدَقَةٍ، فَلَمَّا قَدِمَ قَالَ: هَذَا لَكُمْ وَهَذَا أُهْدِيَ لِي، فَقَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْمِنْبَرِ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: مَا بَالُ الْعَامِلِ نَبْعَثُهُ فَيَأْتِي يَقُولُ: هَذَا لَكَ وَهَذَا لِي، فَهَلَّا جَلَسَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ وَأُمِّهِ، فَيَنْظُرَ أَيُهْدَى لَهُ أَمْ لَا، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا يَأْتِي بِشَيْءٍ إِلَّا جَاءَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَحْمِلُهُ عَلَى رَقَبَتِهِ، إِنْ كَانَ بَعِيرًا لَهُ رُغَاءٌ، أَوْ بَقَرَةً لَهَا خُوَارٌ، أَوْ شَاةً تَيْعَرُ. (البخاري- حديث: ٧١٧٤/مسلم- حديث: ١٨٣٢)

الله تعالى لا يتقبل الصدقة من المال الحرام:

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: لَا تُقْبَلُ صَلَاةٌ بِغَيْرِ طُهُورٍ، وَلَا صَدَقَةٌ مِنْ غُلُولٍ. (صحيح الترمذي- للألباني- حديث:١).

(الغلول): يعني ما اكتسبه الإنسان من طريق غير مشروع، وأصل الغلول: الخيانة والغش.

عدم مبالاة بعض الناس بجمع المال من أي طريق:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ، لَا يُبَالِي الْمَرْءُ بِمَا أَخَذَ الْمَالَ، أَمِنْ حَلَالٍ أَمْ مِنْ حَرَامٍ. (البخاري- حديث: ٢٠٨٣)

قَوْلُهُ: (لَا يُبَالِي الْمَرْءُ بِمَا أَخَذَ الْمَالَ) أي: لا يَخْطُر على قلبه بما أَخَذَ المال، هل هذا المال مِنْ حلالٍ أم مِنْ حرام. وذلك لضَعْفِ دينه وحبه للدنيا وإيثارها، ووجه الذم أنه يتساوى عنده الأمران. وهذا من معجزاته فإنه إخبار عن غيب وقد وقع. (التنوير شرح الجامع الصغير- للصنعاني- ج٩- ص٢٠٢)

التحذير من استخدام الوسيلة الباطلة للحصول على المال الحرام:

عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ وَإِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ، وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَلْحَنَ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ، فَأَقْضِي عَلَى نَحْوِ مَا أَسْمَعُ،

فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ مِنْ حَقِّ أَخِيهِ شَيْئًا، فَلَا يَأْخُذْهُ فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ. (البخاري- حديث٧١٦٨)

الحلف بِالله كذباً للحصول علِى المال الحرام:

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: مَنِ اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينِهِ، فَقَدْ أَوْجَبَ اللَّهُ لَهُ النَّارَ، وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ. فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: وَإِنْ كَانَ شَيْئًا يَسِيرًا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: وَإِنْ قَضِيبًا مِنْ أَرَاكٍ.(مسلم- حديث: ١٣٧).

عَنْ وَائِلِ بْنِ حُجْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ مِنْ حَضْرَمَوْتَ وَرَجُلٌ مِنْ كِنْدَةَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ الْحَضْرَمِيُّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ هَذَا قَدْ غَلَبَنِي عَلَى أَرْضٍ لِي كَانَتْ لِأَبِي، فَقَالَ الْكِنْدِيُّ: هِيَ أَرْضِي فِي يَدِي أَزْرَعُهَا لَيْسَ لَهُ فِيهَا حَقٌّ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْحَضْرَمِيِّ: أَلَكَ بَيِّنَةٌ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: فَلَكَ يَمِينُهُ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ الرَّجُلَ فَاجِرٌ لَا يُبَالِي عَلَى مَا حَلَفَ عَلَيْهِ، وَلَيْسَ يَتَوَرَّعُ مِنْ شَيْءٍ، فَقَالَ: لَيْسَ لَكَ مِنْهُ إِلَّا ذَلِكَ، فَانْطَلَقَ لِيَحْلِفَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا أَدْبَرَ: (أَمَا لَئِنْ حَلَفَ عَلَى مَالِهِ لِيَأْكُلَهُ ظُلْمًا، لَيَلْقَيَنَّ اللَّهَ وَهُوَ عَنْهُ مُعْرِضٌ) (مسلم- حديث:١٣٩)

الله تعالى يغضب على الذي يأكل المال الحرام:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: مَنْ حَلَفَ عَلَى مَالِ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِغَيْرِ حَقِّهِ، لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ. (مسلم- حديث:١٣٨)

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، قَالَ: لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الرَّاشِي وَالْمُرْتَشِي. (صحيح أبي داود- للألباني- حديث: ٣٠٥٥)

معنى الرشوة:

الرشوة: هي مَا يُعْطَى لِإِبْطَالِ حَقٍّ، أَوْ لِإِحْقَاقِ بَاطِلٍ. (التعريفات- للجرجاني- ١٤٨)

فالرَّشوة: هي كل ما يدفعه الإنسانُ لغيره لكي يحصل على شيء ليس من حقه.

(الرَّاشي): الذي يُعطي الرشوة (المُرْتَشي): الذي يأخذ الرشوة.

وانمـا يلحقهما العقوبة معاً إذا استويا في القَصد والإرادة، فرشا المعطي لينال به باطلاً ويتوصل به إلى ظلم. فأما إذا أعطى ليتوصل به إلـى حق أو يدفع عن نفسه ظلماً فإنه غير داخـل في هـذا الوعيد. (معالم السنن- للخطابي- ج٤ ص١٦١).

اجتناب المال الحرام طريق الجنة:

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: أَرَأَيْتَ إِذَا صَلَّيْتُ الصَّلَوَاتِ الْمَكْتُوبَاتِ، وَصُمْتُ رَمَضَانَ، وَأَحْلَلْتُ الْحَلَالَ، وَحَرَّمْتُ الْحَرَامَ، وَلَمْ أَزِدْ عَلَى ذَلِكَ شَيْئًا، أَأَدْخُلُ الْجَنَّةَ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: وَاللَّهِ لَا أَزِيدُ عَلَى ذَلِكَ شَيْئًا. (مسلم- حديث:١٥).

قَالَ الإمَامُ ابن رجب الحنبلي (رَحِمَهُ الله): فَسَّرَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ تَحْلِيلَ الْحَلَالِ بِاعْتِقَادِ حِلِّهِ، وَتَحْرِيمَ الْحَرَامِ بِاعْتِقَادِ حُرْمَتِهِ مَعَ اجْتِنَابِهِ، وَيُحْتَمَلُ أَنْ يُرَادَ بِتَحْلِيلِ الْحَلَالِ إِتْيَانُهُ، وَيَكُونُ الْحَلَالُ هَاهُنَا عِبَارَةً عَمَّا لَيْسَ بِحَرَامٍ، فَيَدْخُلُ فِيهِ الْوَاجِبُ وَالْمُسْتَحَبُّ وَالْمُبَاحُ، وَيَكُونُ الْمَعْنَى أَنَّهُ يَفْعَلُ مَا لَيْسَ بِمُحَرَّمٍ عَلَيْهِ، وَلَا يَتَعَدَّى مَا أُبِيحَ لَهُ إِلَى غَيْرِهِ، وَيَجْتَنِبُ الْمُحَرَّمَاتِ. (جامع العلوم والحكم- لابن رجب- ج٢- ص٦١١)

الإنسان الذي يأكل الحرام لا يشبع منه:

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ يَأْخُذْ مَالًا بِحَقِّهِ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ، وَمَنْ يَأْخُذْ مَالًا بِغَيْرِ حَقِّهِ فَمَثَلُهُ، كَمَثَلِ الَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ. (مسلم- حديث: ١٠٥٢)

المال الحرام طريق النار:

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ لِكَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ: يَا كَعْبُ بْنَ عُجْرَةَ، إِنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ لَحْمٌ نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ، النَّارُ أَوْلَى بِهِ. (مسند أحمد- ج٢٢- ص٣٣٢). هذا الجزء من الحديث صحيح

التحذير من أخذ أموال الدولة بغير حق:

عَنْ خَوْلَةَ الْأَنْصَارِيَّةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ:

إنَّ رجالًا يتخوَّضون في مال الله بغير حق، فلهمُ النَّار يوم القيامة. (البخاري- حديث: ٣١١٨)

قـولـه: (يـتـخـوَّضـون في مـال الله) أي: يتصرفون في مال بيت المال أو الزكاة أو الغنيمة وغيرها، بغير إذن الإمام، ويأخذون منه أكـثـر مـن أجـرة عملهم فلهمُ النَّار. (المفاتيح في شرح المصابيح- مظهر الدين الشيرازي- ج٤- ص٣١٧).

عن بُريدة بن الحصيب الأسلمي رضي الله عنه، عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم قال: من استعملناه على عمل فرزقناه رزقًا، فما أخذ بعد ذلك فهو غلول. (حديث صحيح) (صحيح أبي داود- للألباني- حديث: ٢٥٥٠)

قوله: (من استعملناه على عمل): أي جعلناه مسئولا على عمل من أعمال الدولة.

قوله: (فرزقناه رزقا): أي فأعطيناه مقدارا معينًا من المال. × قوله: (فهو غلول): أي: خيانة وحرام. (مرقاة المفاتيح- علي الهروي- ج٦- ص٢٤٣٥).

عن عدي بن عميرة الكندي، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: من استعملناه منكم على عمل، فكتمنا مخيطا (إبرة)، فما فوقه كان غلولا (خيانة) يأتي به يوم القيامة. (مسلم- حديث: ١٨٣٣)

اكتساب المال بالربا من كبائر المعاصي:

قـال الله تـعـالـى: (ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ) (البقرة: ٢٧٥)

قـال سُبحانه: (يمحق الله الربا ويربي الصدقات والله لا يحب كل كفار أثيم) (البقرة: ٢٧٦)

قال الإمام عبدُ الله بن عباس رضي الله عنهما، في قوله تعالى: (يمحق الله الربا): لا يقبل منه صدقة ولا حجًا ولا جهادا ولا صلة. (تفسير القرطبي- ج٣- ص٣٦٢)

قال جلَّ شأنه: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ) (البقرة:٢٧٨: ٢٧٩)

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم، آكل الربا ومؤكله وكاتبه وشاهديه. وقال: هم سواءٌ. (مسلم- حديث ١٥٩٨)

تحذير السلف من أكل المال الحرام:

(١) قال عمر بن الخطاب، رضي الله عنه: تركنا تسعة أعشار الحلال مخافة الربا. (مصنف عبد الرزاق- ج٨- ص١٥٢).

(٢) قـال عبد الله بـن مسعود، رضي الله عنه: شرُّ المكاسب كسب الربا. (مصنف ابن أبي شيبة- ج٧ ص١٠٦).

(٣) قـال عـبـد الله بـن عبَّاس رضـي الله عنهما: لا يقبل الله صلاة امرئ في جوفه حـرام. (جامع العلوم والحكم- لابن رجب الحنبلي- ص١٠١)

(٤) قال عمر بن عبد العزيز: ليس تقوى الله بصيام النهار، ولا بقيام الليل، والتخليط فيما بين ذلك، ولكن تقوى الله ترك ما حرم الله، وأداء ما افترض الله، فمن رزق بعد ذلك خيرًا، فهو خيرٌ إلى خير. (جامع العلوم والحكم- لابن رجب الحنبلي- ص١٥٩)

أضرار المال الحرام على حياة المسلم:

نستطيع أن نوجز أضرار اكتساب المال الحرام في الأمور التالية:

(١) المال الحرام سبب غضب الله تعالى على المسلم.

(٢) المال الحرام سبب البعد عن الله تعالى.

(٣) اكتساب المال الحرام طريق إلى النار.

(٤) المال الحرام سبب حرمان إجابة الدعاء.

(٥) المال الحرام يؤدي إلى كراهية الناس في الشخص وفقدان الثقة فيه.

(٦) اكتساب المال عن طريق الوسائل المحرمة يؤدي إلى انتشار العداوة والبغضاء بين أفراد المجتمع المسلم.

(٧) أكـل الحـرام يحبط ثـواب الأعـمـال الصالحة.

(٨) المـال الحـرام دليل على ضعف الإيمان وعدم اليقين برزق بالله تعالى.

(٩) المال الحرام هو سبب ضياع الحقوق بين النّاس.

(١٠) الأكل منَ المال الحرام ضار على صحة المسلم.

(١١) إطعام الأولاد من المال الحرام من أسباب شقائهم وتمردهم وعصيانهم لآبائهم.

(موسوعة نضرة النعيم- ج٩- ص٣٩٧٩)

طريقة التوبة من المال الحرام:

التوبة الصادقة من المال الحرام تكون بإعادة المال إلى صاحبه، فإن مات أعطى المال إلى ورثته، فإن لم يجد أحداً من الورثة، أو انقطعت أخبار صاحب المال، ولم يستطع معرفة مكانه، فإنه يتصدق بالمال بنية صاحبه.

وأما إذا كان المال من الربا فإنه يتخلص منه بإعطائه للفقراء.

وأما إذا كان المال خاص بالدولة، فإنه يجب عليه إعادة المال إلى نفس الجهة الحكومية التي أخذه منها، فإذا تعذر عليه ذلك، فإنه يقوم بإنفاق هذا المال في أي جهة حكومية أخرى تابعة للدولة.

وآخِرُ دعْوانا أنِ الحمْدُ للهِ ربِّ العالمين. وصلّى الله وسلّم على نبيِّنا محمّد، وعلى آله، وأصْحابه، والتّابعين لهمْ بإحْسانٍ إلى يوْم الدِّين.

تهنئة

تتقدم أسرة مجلة التوحيد بتهنئة الشيخ **أحمد محمد السيد محمد النجولي**، إمام وخطيب ومدرس بوزارة الأوقاف، بمناسبة حصوله على درجة الدكتوراه في الحديث الشريف وعلومه.

وتكونت لجنة مناقشة الرسالة والحكم على من السادة العلماء أصحاب الفضيلة:

أ.د/ هشام إبراهيم فرج، أستاذ الحديث وعلومه بكلية أصول الدين بالقاهرة، ورئيس قسم الحديث الأسبق، مشرفًا أصليًا.

أ.د/ محمد نصر الدسوقي اللبان، أستاذ الحديث وعلومه بكلية أصول الدين، والعميد السابق لكلية الدراسات الإسلامية بدمياط، مناقشًا داخليًا.

أ.م/ محمود سلامة بُختية، أستاذ الحديث وعلومه المساعد بكلية أصول الدين بالقاهرة، مشرفًا مشاركًا.

أ.د/ عمر محمد الفرماوي، أستاذ الحديث وعلومه بكلية أصول الدين بالمنصور، وعضو اللجنة العلمية الدائمة لترقية الأستاتذة بالجامعة، مناقشًا خارجيًا.

وذلك بتاريخ ٢٥ شعبان ١٤٤٥هـ، الموافق ٦ مارس ٢٠٢٤م.

وأسرة مجلة التوحيد تتمنى مزيدًا من التقدم والرقي، للباحث، والله الموفق.

تهنئة

يسرَ أسرة تحرير مجلة التوحيد تهنئة الباحث الفاضل: **معاذ محمد عبد العظيم نصار**؛ لحصوله على درجة التخصص "الماجستير" في كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة بتقدير: "ممتاز"، مع التوصية بطبع الرسالة وتداولها بين الجامعات عن بحثه: "مجلة الملحدين العرب وآثارها الفكرية على الواقع المعاصر: دراسة نقدية".

وقد تكونت لجنة الإشراف والحكم على الرسالة من كلٍ من:

أ.د. محمود الصاوي الأستاذ بقسم الثقافة الإسلامية: مشرفًا.

د. محمود يسري المدرس بقسم الأديان والمذاهب: مشرفًا مشاركًا.

أ.د. أحمد زارع أستاذ ورئيس قسم الإعلام بكلية الدراسات العليا: مناقشًا.

أ.د. عبد الرافع السيد الأستاذ بقسم الثقافة الإسلامية: مناقشًا.

وأسرة التحرير تتمنى للباحث سعادة الدارين ودوام التوفيق في حياته العلمية والدعوية.

إنا أنزلناه في ليلة القدر

تعيين ليلة القدر

إعداد **د. أيمن خليل**
دكتوراه في الحقوق
رئيس فرع المنصورة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله الكريم، وبعد... فإن القرآن الكريم والسنة النبوية لم يعينا ليلة القدر؛ ومن ثم اختلف العلماء في تحديد ليلة القدر على أقوال نعرض لأشهرها.

ليلة القدر ليلة في السنة كلها:

ذهب بعض الفقهاء إلى أن ليلة القدر هي ليلة في العام قد تكون في رمضان، وقد تكون في غيره، وكان يقول بذلك أبو حنيفة وصاحبه أبو يوسف القاضي، وقد نقل ذلك عن عبد الله بن مسعود فيما يرويه زر بن حبيش حيث قال: سألت أبي بن كعب رضي الله عنه فقلت: إن أخاك ابن مسعود يقول: من يقم الحول يصب ليلة القدر، فقال: رحمه الله أراد أن لا يتكل الناس (صحيح مسلم).

ليلة القدر ليلة في رمضان كله:

ذهب بعض الفقهاء إلى أن ليلة القدر هي ليلة في شهر رمضان، وينقل ذلك ابن قدامة المقدسي في المغني حيث يقول: "... وقال أبي بن كعب: والله لقد علم ابن مسعود أنها في رمضان ولكنه كره أن يخبركم فتتكلوا، إذا ثبت هذا فإنه يستحب طلبها في جميع ليالي رمضان.

ليلة القدر ليلة السابع عشر من شهر رمضان:

ذهب بعض الفقهاء إلى أن ليلة القدر هي ليلة السابع عشر من شهر رمضان، واستدل هؤلاء بقوله تعالى: «إنْ كُنتُمْ آمَنْتُمْ بالله وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ» (الأنفال: ٤١). وفيه إشارة إلى يوم بدر، ولكن يرد عليهم بتفسير قوله تعالى وما أنزلنا على عبدنا: أي من الملائكة والآيات (تفسير البغوي).

كما استدلوا بحديث عبد الله بن مسعود: " قَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّه ﷺ اطْلُبُوهَا لَيْلَةَ سَبْعَ عَشْرَةَ مِنْ رَمَضَانَ وَلَيْلَةَ إِحْدَى وَعِشْرِينَ وَلَيْلَةَ ثَلاَثٍ وَعِشْرِينَ ثُمَّ سَكَتَ " (سنن أبي داود).

ليلة القدر ليلة في العشر الأواخر من رمضان:

ذهب جمهور الفقهاء من المالكية والشافعية والحنابلة إلى أن ليلة القدر هي إحدى ليالي العشر الأواخر من رمضان؛ لحديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قال: تَحَرَّوْا لَيْلَةَ الْقَدْرِ في الوتْر، مِنَ

العشر الأواخر من رمضان. (متفق عليه). وهي ليلة غير معينة، واختلفوا في أرجاها على أقوال نعرض لها:

١- ليلة القدر هي ليلة إحدى وعشرين:

وهو مذهب الشافعي واستدل بحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ كان يعتكف في العشر الأوسط من رمضان، فاعتكف عاما، حتى إذا كان ليلة إحدى وعشرين، وهي الليلة التي يخرج من صبيحتها من اعتكافه، قال: " مَنْ كان اعْتَكَفَ معي فَلْيَعْتَكِفِ العشْرَ الأواخر، وقَدْ أُرِيتُ هذه اللَّيْلَةَ ثُمَّ أُنْسِيتُهَا، وَقَدْ رَأَيْتُنِي أَسْجُدُ في مَاءٍ وطِينٍ مِنْ صَبِيحَتِهَا، فَالْتَمِسُوهَا في العشْرِ الأَوَاخِرِ، وَالْتَمِسُوهَا في كُلِّ وِتْرٍ ". فمطرت السماء تلك الليلة، وكان المسجد على عريش، فوكف المسجد، فبصرت عيناي رسول الله ﷺ على جبهته أثر الماء والطين، من صبح إحدى وعشرين.

٢- ليلة القدر هي ليلة اثنتين وعشرين:

وذلك لحديث عبد الله بن أنيس قال: وافيت رسول الله ﷺ صلاة المغرب، ثم قمت بباب بيته، فمر بي، فقال: ادْخُلْ. فدخلت، فأُتي بعشائه، فرأيتني أكف عنه من قلته، فلما فرغ، قال: ناولوني نَعْلِيَ. فقام، وقمت معه، قال: كأنَّ لك حاجة. قلت: أجل، أرسلني إليك رهط من بني سلمة يسألونك عن ليلة القدر، قال: كم اللَّيْلَةُ؟ قلت: اثنتان وعشرون، قال: هي اللَّيْلَةُ. ثُمَّ رجع، فقال: أو القابلة. يُرِيدُ لَيْلَةَ ثلاث وعشرين (سنن النسائي وسنن أبي داود).

٣- ليلة القدر هي ليلة ثلاث وعشرين:

وهو مذهب الشافعي القديم، واستدلوا بحديث عبد الله بن أنيس السابق. وبما أخرجه مسلم في صحيحه عن عبد الله بن أنيس أن رسول الله ﷺ قال: أُرِيتُ لَيْلَةَ القَدْرِ، ثُمَّ أُنْسِيتُهَا وأراني صُبْحَهَا أَسْجُدُ في ماءٍ وطِينٍ، قال: فمطرنا ليلة ثلاث وعشرين فصلى بنا رسول الله ﷺ، فانصرف، وإن أثر الماء والطين على جبهته وأنفه. قال: وكان عبد الله بن أنيس يقول: ثلاث وعشرين.

كما استندوا إلى حديث ابن عباس: " أتيت، وأنا نائم في رمضان، فقيل لي: إن الليلة ليلة القدر، قال: فقمت، وأنا ناعس، فتعلقت ببعض أطناب فسطاط رسول الله ﷺ، فأتيت رسول الله ﷺ، فإذا هو يصلي. قال: فنظرت في تلك الليلة، فإذا هي ليلة ثلاث وعشرين" (مسند أحمد). ولكن هذا الأثر لا يعول عليه في تحديد ليلة القدر لأن الأحكام الفقهية لا تبنى على الرؤى والمنامات.

٤- ليلة القدر هي ليلة أربع وعشرين:

يرى بعض الفقهاء أن أرجى ليلة من ليالي العشر هي ليلة أربع وعشرين واستندوا في ذلك إلى حديث بلال بن رباح أن النبي ﷺ قال: " لَيْلَةُ القَدْرِ لَيْلَةُ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ "(مسند أحمد). ولكن هذا الحديث ضعيف في سنده ابن لهيعة. كما استندوا إلى حديث أبي سعيد الخدري أنه قال: قال رسول الله : " لَيْلَةُ القَدْرِ لَيْلَةُ أَرْبَعٍ وعِشْرِينَ " (مسند أبي داود الطيالسي). كما استندوا أيضا إلى ما أورده عبد الرزاق في مصنفه عن الحسن البصري أنه قال: " نظرت الشمس عشرين سنة، فرأيتها تطلع صبيحة أربع وعشرين من رمضان ليس لها شعاع ".

٥- ليلة القدر هي ليلة الحادي والعشرين، أو الثالث والعشرين، أو الخامس والعشرين:

يرى بعض الفقهاء أن ليلة القدر يمكن أن تكون ليلة الحادي والعشرين، أو ليلة الثالث والعشرين، أو ليلة الخامس والعشرين. واستندوا في ذلك إلى حديث ابن عبّاس رضي الله عنهما أنَّ النبيَّ ﷺ قال: " التَمِسُوهَا في العَشْرِ الأوَاخِرِ مِن رَمَضَانَ لَيْلَةَ القَدْرِ في تَاسِعَةٍ تَبْقَى في سَابِعَةٍ تَبْقَى في خَامِسَةٍ تَبْقَى " (صحيح البخاري).

وقالوا أن التاسعة التي تبقى هي ليلة الحادي والعشرين، وأما السابعة التي تبقى فهي ليلة الثالث والعشرين، وأما الخامسة التي تبقى فهي ليلة الخامس والعشرين. ولكن يرد على أصحاب هذا القول بأن الشهر لو كان كاملا

فإن التاسعة التي تبقى تكون ليلة الثاني والعشرين، وأما السابعة التي تبقى فتكون ليلة الرابع والعشرين، وأما الخامسة التي تبقى فهي ليلة السادس والعشرين، فلا يصح الحساب على أساس أن الشهر ناقص دومًا وهذا غير متصور.

٦- ليلة القدر ليلة غير معينة في السبع الأواخر من رمضان:

يرى أصحاب هذا القول أن ليلة القدر يكون تحريها في السبع الأواخر من شهر رمضان لحديث ابن عمر رضي الله عنهما: أن رجالا من أصحاب النبي ﷺ أروا ليلة القدر في المنام في السبع الأواخر، فقال رسول الله ﷺ: أرى رؤياكم قد تواطأت في السبع الأواخر، فمن كان متحريها فليتحرها في السبع الأواخر" (متفق عليه).

٧- ليلة القدر ليلة غير معينة في ليالي الشفع من السبع الأواخر من رمضان:

في سنن النسائي من حديث أبي ذر رضي الله عنه قال: صمنا مع رسول الله ﷺ رمضان، فلم يقم بنا النبي ﷺ، حتى بقي سبع من الشهر، فقام بنا حتى ذهب نحو من ثلث الليل، ثم كانت سادسة، فلم يقم بنا، فلما كانت الخامسة قام بنا حتى ذهب نحو من شطر الليل، قلنا: يا رسول الله، لو نفلتنا قيام هذه الليلة؟ قال: إن الرجل إذا صلى مع الإمام حتى ينصرف حسب له قيام ليلة، قال: ثم كانت الرابعة، فلم يقم بنا، فلما بقي ثلث من الشهر، أرسل إلى بناته ونسائه، وحشد الناس، فقام بنا حتى خشينا أن يفوتنا الفلاح، ثم لم يقم بنا شيئا من الشهر. قال داود: قلت: ما الفلاح؟ قال: السحور. وفي مسند أبي داود الطيالسي نجد أن هذه الليالي التي قامها النبي ﷺ يلتمس فيها ليلة القدر كانت شفعًا لا وترًا، حيث يروي عن أبي ذر الغفاري أنه قال: " صمنا رمضان مع رسول الله ﷺ فلم يقم بنا شيئًا من الشهر، حتى إذا كانت ليلة أربع وعشرين السابعة مما يبقى، صلى بنا حتى كاد أن يذهب ثلث الليل، فلما كانت ليلة خمس وعشرين لم يصل بنا، فلما كانت ليلة ست وعشرين الخامسة مما يبقى صلى بنا حتى كاد أن يذهب شطر الليل، فقلت: يا رسول الله لو نفلتنا بقية ليلتنا، فقال: لا، إن الرجل إذا صلى مع الإمام حتى ينصرف كتبت له قيام ليلة، فلما كانت ليلة سبع وعشرين لم يصل بنا، فلما كانت ليلة ثمان وعشرين رجع رسول الله ﷺ إلى أهله واجتمع له الناس، فصلى بنا حتى كاد أن يفوتنا الفلاح، ثم يا ابن أخي لم يصل بنا شيئا من الشهر، قال: والفلاح السحور".

٨- ليلة القدر هي ليلة السابع والعشرين:

واستدلوا على ذلك بحديث زر بن حبيش: " سألت أبي بن كعب رضي الله عنه فقلت: إن أخاك ابن مسعود يقول: من يقم الحول يصب ليلة القدر، فقال: رحمه الله أراد أن لا يتكل الناس، أما إنه قد علم أنها في رمضان وأنها في العشر الأواخر، وأنها ليلة سبع وعشرين، ثم حلف لا يستثني أنها ليلة سبع وعشرين، فقلت: بأي شيء تقول ذلك يا أبا المنذر؟ قال: بالعلامة، أو بالآية التي أخبرنا رسول الله ﷺ أنها تطلع يومئذ لا شعاع لها "(صحيح مسلم).

٩- ليلة القدر في الوتر مما يبقى من العشر الأواخر وليست في الوتر مما يمضي منها:

لحديث ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: " التمسوها في العشر الأواخر من رمضان، ليلة القدر في تاسعة تبقى، في سابعة تبقى، في خامسة تبقى " (صحيح البخاري). ويؤكد ذلك على خطأ احتساب الليالي الوتر بما مضى من الشهر لأن العبرة وفقًا لهذا الحديث بما بقى لا بما مضى. وهو ما يدل على أن ليلة القدر تكون في الأشفاع كما تكون في الأوتار، ويؤكد ذلك أيضًا حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: " اعتكف رسول الله ﷺ العشر الأوسط

من رمضان يلتمس ليلة القدر قبل أن تبان له، فلما انقضين أمر بالبناء فقوض، ثم أبينت له أنها في العشر الأواخر، فأمر بالبناء فأعيد، ثم خرج على الناس فقال: يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهَا كَانَتْ أُبِينَتْ لِي لَيْلَةُ الْقَدْرِ، وَإِنِّي خَرَجْتُ لأُخْبِرَكُمْ بِهَا، فَجَاءَ رَجُلانِ يَحْتَقَّانِ مَعَهُمَا الشَّيْطَانُ، فَنُسِّيتُهَا، فَالْتَمِسُوهَا فِي الْعَشْرِ الأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ، الْتَمِسُوهَا فِي التَّاسِعَةِ وَالسَّابِعَةِ وَالْخَامِسَةِ. قال أبو نضرة الراوي عن أبي سعيد: قلت: يا أبا سعيد إنكم أعلم بالعدد منا، قال: أجل نحن أحق بذلك منكم، قال: قلت: ما التاسعة والسابعة والخامسة قال: إذا مضت واحدة وعشرون فالتي تليها ثنتين وعشرين، وهي التاسعة فإذا مضت ثلاث وعشرون فالتي تليها السابعة، فإذا مضى خمس وعشرون فالتي تليها الخامسة " (صحيح مسلم).

والصحابي الذي يروي الحديث هو أعلم بالمقصود منه. ولذلك بوب ابن خزيمة في صحيحه لحديث أبي بكرة بقوله: " باب ذكر الدليل على أن الأمر بطلب ليلة القدر في الوتر مما يبقى من العشر الأواخر لا في الوتر مما يمضي منها ".

ولأن الشهر لا يعلم هل يكون كاملا أم ناقصًا إلا بعد انصرامه وهو ما يعني أن ليالي الوتر مما يبقى في حال اكتمال شهر رمضان هي أول ليلة وهي ليلة الثلاثين، وثالث ليلة وتكون ليلة ثمان وعشرين، والخامسة وتكون ليلة ست وعشرين، والسابعة وتكون ليلة أربع وعشرين، والتاسعة وتكون ليلة اثنتين وعشرين، وتكون هذه الليالي الوتر مما يبقى من شهر رمضان حال اكتماله.

١٠- ليلة القدر هي آخر ليلة في شهر رمضان:

ذهب بعض الفقهاء إلى أن ليلة القدر هي آخر ليلة في شهر رمضان وذلك لحديث أبي بكرة السابق، وأيضًا لحديث معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: " التَمِسُوا لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي آخِرِ لَيْلَةٍ" (صحيح ابن خزيمة).

ولحديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه أنه قال: يا رسول الله، أخبرنا عن ليلة القدر، فقال رسول الله ﷺ: هِيَ فِي رَمَضَانَ، الْتَمِسُوهَا فِي الْعَشْرِ الأَوَاخِرِ؛ فَإِنَّهَا وِتْرٌ: فِي إِحْدَى وَعِشْرِينَ، أَوْ ثَلاثٍ وَعِشْرِينَ، أَوْ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ، أَوْ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ، أَوْ تِسْعٍ وَعِشْرِينَ، أَوْ فِي آخِرِ لَيْلَةٍ، فَمَنْ قَامَهَا إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ (مسند أحمد).

القول الراجح في تعيين ليلة القدر

ذكر الحافظ ابن حجر في شرحه لصحيح البخاري أن العلماء اختلفوا في تعيين ليلة القدر على أكثر من أربعين قولاً، والراجح في ليلة القدر أنها غير معينة- خلافًا لما يظن كثير من الناس- والذين يجتهدون في ليلة معينة ظنًا منهم أنها ليلة القدر، ويفترون فيما سواها من الليالي، كما أن ليلة القدر تتنقل من عام إلى عام فهي غير ثابتة، فتكون عاماً ليلة إحدى وعشرين، وعاماً ليلة تسع وعشرين، وعاماً ليلة اثنين وعشرين، وعاماً ليلة أربع وعشرين، وعامًا ليلة خمس وعشرين وهكذا؛ وبذلك يمكن جمع الأحاديث الواردة بشأن ليلة القدر دون أدنى تعارض بينها. وفي ذلك يقول النووي في المجموع:".... مذهب الشافعي أن أرجاها عنده ليلة إحدى وعشرين وقال في القديم ليلة إحدى وعشرين أو ثلاث وعشرين فهما أرجى لياليها عنده، وبعدهما ليلة سبع وعشرين، هذا هو المشهور في المذهب أنها منحصرة في العشر الأواخر من رمضان، وقال إمامان جليلان من أصحابنا وهما المزني وصاحبه أبو بكر محمد ابن اسحق بن خزيمة أنها منتقلة في ليالي العشر تنتقل في بعض السنين إلى ليلة وفي بعضها إلى غيرها جمعا بين الأحاديث، وهذا هو الظاهر المختار لتعارض الأحاديث الصحيحة في ذلك، ولا طريق إلى الجمع بين الأحاديث إلا بانتقالها...".

فليلة القدر ليست ثابتة وانما هي تنتقل من عام إلى آخر، وهي تكون في الأشفاع كما أنها تكون في الأوتار، والله تعالى أعلم.

والحمد لله رب العالمين.

الأذان: المعانـي والفضـائل

إعداد الشيخ صلاح عبد الخالق

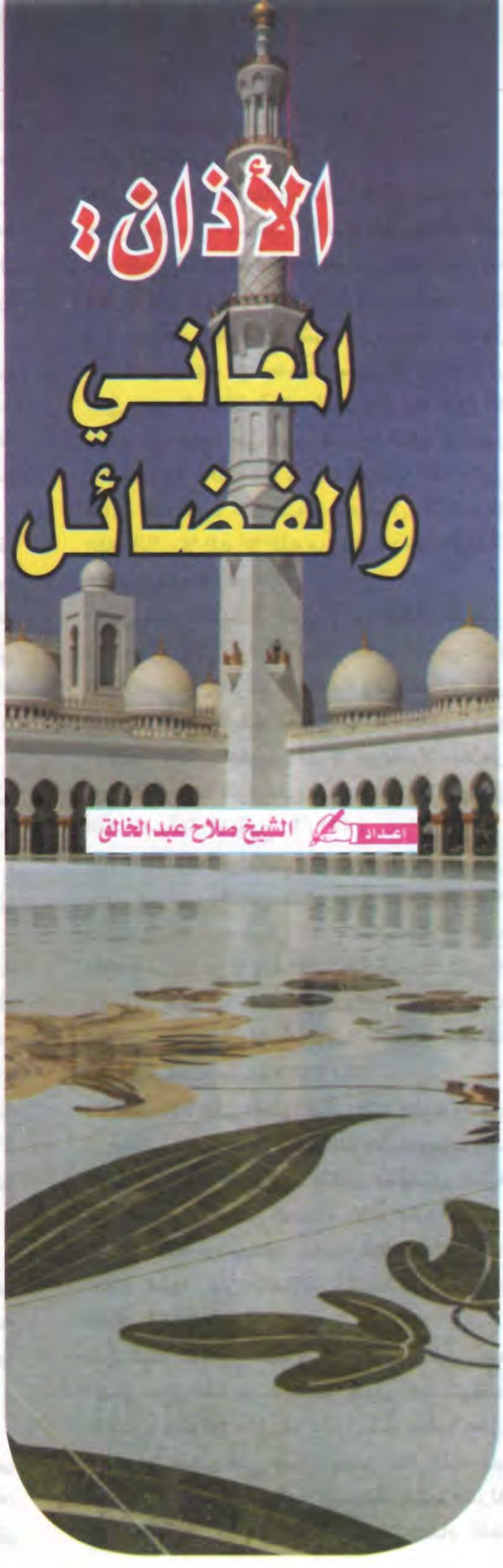

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على النبي المصطفى.

أولا: تعريف الأذان:

قال تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ» (الجمعة: ٩).

«الأذان: هو الإعلام بدخول وقت الصلاة بألفاظ مخصوصة. ويحصل به الدعاء إلى الجماعة وإظهار شعائر الإسلام». «فقه السنة» (١/ ١١٠).

عن ابْنَ عُمَرَ قَالَ: كَانَ الْمُسْلِمُونَ حِينَ قَدِمُوا الْمَدِينَةَ يَجْتَمِعُونَ فَيَتَحَيَّنُونَ الصَّلَاةَ لَيْسَ يُنَادَى لَهَا، فَتَكَلَّمُوا يَوْمًا في ذَلِكَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: اتَّخِذُوا نَاقُوسًا مِثْلَ نَاقُوسِ النَّصَارَى، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ بُوقًا مِثْلَ قَرْنِ الْيَهُودِ، فَقَالَ عُمَرُ: أَوَلَا تَبْعَثُونَ رَجُلًا يُنَادِي بِالصَّلَاةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «يَا بِلَالُ قُمْ فَنَادِ بِالصَّلَاةِ» رواه البخاري (٦٠٤)، ومسلم (٣٧٧).

ثانيا: من معاني وأسرار كلمات الأذان:

-اللهُ أكْبَرُ: اللهُ أكْبَرُ من الدنيا بكل ما فيها، وهذا يُشعرك بعظمة الله، وأنه أكبر من كل كبير؛ ترغيبًا للعبد في ترك ما سوى الأكبر، وأمرًا له بالإقبال عليه والوقوف بالذل بين يديه، وباستشعار الخضوع الخشوع له.

-التكبير: مُفتاح الأذان؛ لأنه يَفتح القلوب بذكر علام الغيوب. ثم إنَّه لما كان التكبير أول الأذان كرر أربع مَرات تأكيدًا؛ لأن السامع في بادئ الأمر متشاغل بما هو فيه فحسن التأكيد هناك زيادة في حضه على الإقبال واطراح الأشغال، وإطفاء لنار الشيطان، وإخمادًا لجمرات المعاصي والطغيان، ولما كانت نيران الشهوات تشتعل في كل آن، وجمرات المعاصي تتسعر على كل إنسان كان في التكبير من الإطفاء لها ما لا يخفى على أهل العرفان.

-(أشهد أن لا إله إلا الله): تذكيرٌ للسامع بذلك، ليحضَّه على الالتفات إلى إلهه المنفرد بالألوهية، والتفرغ عن أشغاله

وأعراضه، والقيام بطاعته، والفرار إليه، والوقوف بكليته بين يديه، ونفي ما سواه، وبالألوهية منفردا، أهلا للعزة والكمال، معروفا بالخير والإفضال والإحسان. وأما تأكيد تكرارها، فتأكيد وحض على الإقبال عليه بالقلب، والقالب، والتلذذ بذكره، وحلاوة المكرر يعرفها ذوو الذوق السليم.

(أشهد أن محمدا رسول الله). ثم إنه حسن إتباع الشهادة بأختها، وهي: "أشهد أن محمدا رسول الله" صلى الله عليه وسلم؛ لأنها لا تقبل هذه إلا بهذه، وللإعلام بأنه صلى الله عليه وسلم رسول مرسل من الله عز وجل.

(حي على الصلاة): أي هلم وأقبل إلى الصلاة.

(حي على الفلاح): أي هلم وأقبل إلى ما به الفلاح. والصلاة هي سبب الفلاح، ومفتاح باب النجاح، وبها ينال العبد ما يتمناه من الحي القيوم. والفلاح هو الفوز، والنجاة، والبقاء في الخير. والصلاة هي سببه الأعظم وأصله المعظم، قال تعالى: «قد أفلح المؤمنون (١) الذين هم في صلاتهم خاشعون» (المؤمنون: ١-٢)، وقال تعالى: «والذين هم على صلواتهم يحافظون (٩) أولئك هم الوارثون (١٠) الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون» (المؤمنون: ١١).

-الله أكبر (لا إله إلا الله) لما كان الله سبحانه هو الأول والآخر، ومنه البداية وإليه النهاية، ختم هذا العقد الفريد بلفظ "لا إله إلا الله" الذي قامت به السموات والأرض، فكان ابتداء الأذان بلفظ الجلالة من "الله أكبر"، وختمه بها أيضا من "لا إله إلا الله" وفي حسن الختام بها التفاؤل بأن يكون آخر الكلام فيفوز قائلها بحسن الختام.

ثالثا: من فضائل ترديد الأذان:

«أما هديه صلى الله عليه وسلم في الذكر عند الأذان وبعده فشرع لأمته منه خمسة أنواع» «زاد المعاد» (٢/٣٥٦)، ينبغي معرفتها والمحافظة عليها وهي:

(١) قل مثل ما يقول المؤذن ولك الجنة:

- عن أبي سعيد الخدري: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إذا سمعتم النداء، فقولوا مثل ما يقول المؤذن» صحيح البخاري (٦١١)، صحيح مسلم (٣٨٣).

- كيفية الترديد:

عن عمر بن الخطاب، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا قال المؤذن: الله أكبر الله أكبر، فقال أحدكم: الله أكبر الله أكبر، ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله، قال: أشهد أن لا إله إلا الله، ثم قال: أشهد أن محمدا رسول الله قال: أشهد أن محمدا رسول الله، ثم قال: حي على الصلاة، قال: لا حول ولا قوة إلا بالله، ثم قال: حي على الفلاح، قال: لا حول ولا قوة إلا بالله، ثم قال: الله أكبر الله أكبر، قال: الله أكبر الله أكبر، ثم قال: لا إله إلا الله، قال: لا إله إلا الله من قلبه دخل الجنة" صحيح مسلم (٣٨٥).

(حي على الصلاة. قال): أي: فقال المجيب (لا حول ولا قوة إلا بالله) أي: لا حيلة في الخلاص عن موانع الطاعة ولا حركة على أدائها إلا بتوفيقه تعالى قاله المظهر، وهو الأظهر. وقال الطيبي: أي لا حيلة ولا خلاص عن المكروه ولا قوة على طاعة الله إلا بتوفيق الله. (مرقاة المفاتيح (٢/٥٥٩)).

(٢) الشهادة والرضى وغفران الذنوب: عن سعد بن أبي وقاص، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من قال حين يسمع المؤذن أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، رضيت بالله ربا وبمحمد رسولا، وبالإسلام دينا، غفر له ذنبه» صحيح مسلم (٣٨٦)

(٣) الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم: أن يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم بعد فراغه من إجابة المؤذن، وأكمل ما يصلى عليه به ويصل إليه هي الصلاة الإبراهيمية، كما علمه أمته أن يصلوا عليه، فلا صلاة عليه أكمل منها، وإن تحذلق المتحذلقون» «زاد المعاد» (٢/٣٥٧)

عن عبد الله بن عمرو بن العاص، أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «إذا سمعتم المؤذن، فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي، فإنه من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشرا، ثم سلوا الله لي الوسيلة، فإنها منزلة في الجنة، لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله،

وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة» «صحيح مسلم» (٣٨٤)

(٤) الدعاء للنبي ولك شفاعته يوم القيامة: فعن جابر بن عبد الله: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " من قال حين يسمع النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة، والصلاة القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته، حلت له شفاعتي يوم القيامة" رواه البخاري (٦١٤)، ومسلم (٣٨٤).

(حلت) أي: وجبت وثبتت له (شفاعتي يوم القيامة) وفيه إشارة إلى بشارة حسن الخاتمة. (مرقاة المفاتيح (١/٤٤٥)

(٥) ادع الله تجب دعوتك: أن يدعو لنفسه بعد ذلك، ويسأل الله من فضله، فإنه يستجاب له «زاد المعاد» (٢/٣٥٨).

وعن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم إذا نودي بالصلاة فتحت أبواب السماء واستجيب الدعاء" صحيح الجامع (٨١٨)، وعن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الدعاء لا يرد بين الأذان والإقامة». سنن الترمذي (٢١٢)، صحيح الجامع (٣٤٠٨).

رابعا: من فضائل المؤذن:

-عن أبي هريرة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول، ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا..» صحيح البخاري (٦١٥) وصحيح مسلم (٤٣٧). أي لو اطلع الناس على ما أعده الله للمؤذنين وأهل الصف الأول من الأجر العظيم " ثم لم يجدوا "وسيلة للوصول " إلا أن يستهموا عليه " أي أن يقترعوا على الأذان والصف الأول " لاستهموا " أي لحاولوا الوصول إلى ذلك ولو بالقرعة، لما يرون فيهما من الثواب الكبير والأجر الجزيل. منار القاري (٢/١١١).

ومن هذه الفضائل مثلا:

(١) الشهادة للمؤذن بخير يوم القيامة: عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا إنس ولا شيء إلا شهد له يوم القيامة» صحيح البخاري (٣٢٩٦). (٢) أطول الناس أعناقا يوم القيامة: عن معاوية بن أبي سفيان، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «المؤذنون أطول الناس أعناقا يوم القيامة» صحيح مسلم (٣٨٧).

(أطول الناس أعناقا) جمع عنق واختلف السلف والخلف في معناه فقيل معناه أكثر الناس تشوفا إلى رحمة الله تعالى؛ لأن المتشوف يطيل عنقه إلى ما يتطلع إليه فمعناه كثرة ما يرونه من الثواب وقال النضر بن شميل إذا ألجم الناس العرق يوم القيامة طالت أعناقهم لئلا ينالهم ذلك الكرب والعرق.

(٣) للمؤذن تسعون حسنة: عن ابن عمر، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من أذن ثنتي عشرة سنة، وجبت له الجنة، وكتب له بتأذينه في كل يوم ستون حسنة، ولكل إقامة ثلاثون حسنة" سنن ابن ماجه (٧٢٨)، صحيح الجامع (٦٠٠٢).

- (ستون حسنة) كتب له بسبب تأذينه كل مرة (ولكل إقامة ثلاثون حسنة). مرقاة المفاتيح (٢/٥٧٢).

(٤) دعاء النبي صلى الله عليه وسلم للمؤذنين بالمغفرة:

-عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الإمام ضامن والمؤذن مؤتمن، اللهم أرشد الأئمة واغفر للمؤذنين» سنن أبى داود (٥١٧)، صحيح الجامع (٢٧٨٧).

«الإمام ضامن» أي: متكفل لصلاة المؤتمين بالإتمام، ومتحمل عنهم القراءة والقيام (والمؤذن مؤتمن) والمؤذن أمين في الأوقات يعتمد الناس على أصواتهم في الصلاة والصيام وسائر الوظائف المؤقتة والمعنى أرشد الأئمة للعلم بما تكفلوه والقيام به والخروج عن عهدته واغفر للمؤذنين ما عسى يكون لهم تفريط في الأمانة التي حملوها من جهة تقديم على الوقت، أو تأخير عنه سهوا. مرقاة المفاتيح (٢/٥٦٣).

والحمد لله رب العالمين.

واحة التوحيد

من نور كتاب الله

من صفات المتقين

قال الله تعالى: «وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ» (آل عمران ١٣٣، ١٣٤).

فضل صيام ستة أيام من شهر شوال

عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: من صام رمضان ثم أتبعه ستًا من شوال؛ كان كصيام الدهر. (صحيح مسلم)

من دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو في الصلاة: "اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال، وأعوذ بك من فتنة المحيا، وفتنة الممات، اللهم إني أعوذ بك من المأثم والمغرم"؛ فقال له قائل: ما أكثر ما تستعيذ من المغرم؟! فقال: «إن الرجل إذا غرم، حدَّث فكذب، ووعد فأخلف». (صحيح البخاري).

من فضائل الصحابة

عن طلحة بن مصرف رضي الله عنه، قال: كان يقال: "بُغض بني هاشم نفاق، وبُغض أبي بكر وعمر نفاق، والشاك في أبي بكر كالشاك في السنة" (شرح السنة للالكائي)

من حكمة الشعر

قالوا في ذم النميمة:

لا تقبلنَّ نميمة بُلِّغتها ... وتحفَّظنَّ من الذي أنباكها
إنَّ الذي أهدى إليك نميمة ... سينمُّ عنك بمثلها قد حاكها

إعداد : علاء خضر

من أخلاق السلف في البيع والشراء

عن زياد بن الرَّبيع اليحمديّ عن أبيه قال: «رأيت محمَّد بن واسع يبيع حمارًا بسوق (بلخ)؛ فقال له رجل: أترضاه لي؟ قال: لو رضيته لم أبعه». (الورع لابن أبي الدنيا).

من دلائل النبوة

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «نُصرت بالرعب، وأُعطيت جوامع الكلم، وبينا أنا نائم إذ جيء بمفاتيح خزائن الأرض فوُضعت بين يدي». (صحيح مسلم).

من هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم

صوم الدهر

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم: «شهر الصَّبر (أي رمضان) وثلاثة أيَّام من كل شهر (أي الثالث والرابع والخامس عشر) صوم الدَّهر». (صحيح مسلم)

من أقوال السلف

عن الأوزاعي رحمه الله قال: "كان يقال: خمس كان عليها أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم والتابعون بإحسان: لزوم الجماعة، واتباع السُّنة، وعمارة المساجد، وتلاوة القرآن، والجهاد في سبيل الله" (أي مع ولاة الأمر). (شرح السنة للالكائي)

زكاة الفطر قبل صلاة العيد

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث، وطعمة للمساكين؛ من أدَّاها قبل الصلاة فهي زكاة مقبولة، ومَن أدَّاها بعد الصلاة فهي صدقة من الصدقات. (سنن أبي داود).

الأحكام الفقهية المتعلقة بصيام الستة من شوال ووداع رمضان

إعداد **د. عبد القادر فاروق**
موجه بمجمع البحوث وعضو
لجنة الفتوى بالمعادي سابقا

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فهذه بشرى للصائمين: عَنْ سَهْل رَضِيَ اللَّه عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ، قَالَ: " إنَّ فِي الجَنَّةِ بَابًا يُقَالُ لَهُ الرَّيَّانُ، يَدْخُلُ مِنْهُ الصَّائِمُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ، لاَ يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ، يُقَالُ: أَيْنَ الصَّائِمُونَ؟ فَيَقُومُونَ لاَ يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ، فَإِذَا دَخَلُوا أُغْلِقَ فَلَمْ يَدْخُلْ مِنْهُ أَحَدٌ " متفق عليه. (الريان) صيغة مبالغة من الري وهو نقيض العطش).

وفيما يلي بعض الأحكام الفقهية المتعلقة بصيام الستة من شوال:

١ - فضل صيام الستة من شوال:

عَنْ ثَوْبَانَ –رَضِيَ اللَّه عنه- أَنَّ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ قَالَ: « صِيَامُ شَهْرِ رَمَضَانَ بِعَشَرَةِ أَشْهُرٍ وَصِيَامُ سِتَّةِ أَيَّامٍ مِنْ شَوَّالٍ بِشَهْرَيْنِ فَذَلِكَ صِيَامُ سَنَةٍ » قال الأعظمي: إسناده صحيح، صحيح ابن خزيمة ٣/٢٩٨.

وفي لفظ النسائي، عَنْ ثَوْبَانَ-رضي الله عنه-، مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ يَقُولُ: « جَعَلَ اللَّهُ الْحَسَنَةَ بِعَشْرٍ فَشَهْرٌ بِعَشَرَةِ أَشْهُرٍ وَسِتَّةُ أَيَّامٍ بَعْدَ الْفِطْرِ تَمَامُ السَّنَةِ » صيام ستة أيام من شوال، السنن الكبرى،٣/٢٣٩.

وفي صحيح البخاري عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا، عن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ، قَالَ: « صُمْ مِنَ الشَّهْرِ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ »، قَالَ: أُطِيقُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ، فَمَا زَالَ حَتَّى قَالَ: « صُمْ يَوْمًا وَأَفْطِرْ يَوْمًا » فَقَالَ: « اقْرَأِ القُرْآنَ فِي كُلِّ شَهْرٍ »، قَالَ: إِنِّي أُطِيقُ أَكْثَرَ فَمَا زَالَ، حَتَّى قَالَ: « فِي ثَلاَثٍ » (في ثلاث) ليال أي مع أيامها. صحيح البخاري ٣/٤٠.

قال الشيخ صفوت نور الدين رحمه الله: فكان من صام رمضان وأتبعه ستاً من شوال وصام ثلاثة أيام من كل شهر بعده كان كمن صام دهرين في عمره. وذلك مما اختص الله سبحانه به هذه الأمة على قصر أعمارها؛ فإن الله سبحانه ضاعف لها أعمالها فتسبق الأمم بذلك العطاء العظيم من الله سبحانه وتعالى. (إتحاف الأنام بأحكام الصيام ص١٣٧).

٢- يجوز صيام الستة أيام من شوال لمن عليه أيام من رمضان (كمن أفطر لعذر مرض أو سفر أو امرأة حائض أو نفساء)؛ لأن القضاء واجب على السعة؛ أي واجب موسع، ولا يتعين له زمن حتى يقضي فيه قال تعالى: (ومن كان مريضًا أو على سفر فعدة من أيام أخر) البقرة: ١٨٥. ولما جاء في الصحيحين عن أم المؤمنين عائشة- رضي الله عنها- قالت: كان يكون عليَ الصوم من رمضان فما أستطيع أن أقضيه إلا في شعبان" أخرجه البخاري ١٩٥٠ ومسلم ١١٤٦.

وليس من المعقول أنها كانت تترك صوم النوافل مع تأخيرها القضاء إلى شعبان، ومن تطوع قبل فعل القضاء يكون فعل خلاف الأولى. (القول التمام في أحكام الصيام للدكتور عطية عبد الموجود: أستاذ الفقه بجامعة الأزهر ص٣٦٣).

قال الحافظ ابن حجر: وفي الحديث دلالة عَلَى جَوَازِ تَأْخِيرِ قَضَاءِ رَمَضَانَ مُطْلَقًا سَوَاءٌ كَانَ لِعُذْرٍ أَوْ لِغَيْرِ عُذْرٍ ". فتح الباري ٤/١٩١.

ولكن يستحب المبادرة لقوله تعالى: (أُولَئِكَ

يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون) سورة المؤمنون، الآية ٦١-

٣- يجوز الجمع في النية بين صيام يوم الاثنين والخميس، أو الأيام البيض وبين نية احتسابها من ضمن الستة أيام من شوال؛ لأن هذا كله تطوع.

٤- يجوز صيام هذه الأيام متفرقة أو متتابعة؛ لأن النبي- صلي الله عليه وآله وسلم- لم يشترط التتابع بل قال (ستا من شوال) وهو قول الإمام أحمد ووكيع -رحمهما الله تعالى- لطائف المعارف ص٢٩٧.

٥- هل يجوز الجمع في النية بين القضاء والستة من شوال؛

قال الشربيني: "وَلَوْ صَامَ فِي شَوَّالٍ قَضَاءً أَوْ نَذْرًا أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ، هَلْ تَحْصُلُ لَهُ السُّنَّةُ أَوْ لَا؟ لَمْ أَرَ مَنْ ذَكَرَهُ، وَالظَّاهِرُ الْحُصُولُ. لَكِنْ لَا يَحْصُلُ لَهُ هَذَا الثَّوَابُ الْمَذْكُورُ خُصُوصًا مَنْ فَاتَهُ رَمَضَانُ وَصَامَ عَنْهُ شَوَّالًا؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَصْدُقْ عَلَيْهِ الْمَعْنَى الْمُتَقَدِّمُ..(مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج ٢/١٨٤).

"لا يجوز صيام التطوع بنيتين نية القضاء ونية السنة"؛ فتاوى اللجنة الدائمة ١٠/٣٨٣.

مثال: لا يجوز الجمع بين نية القضاء ونية صيام الستة من شوال، بمعنى: لا يجوز لمن أفطر لعذر مرض أو سفر في رمضان أن يصوم يوما من شوال ينوي به القضاء وأنه من ضمن الستة أيام من شوال.

٦- لا يشترط في قضاء رمضان التتابع؛ لأن الله تعالى قال: (ومن كان مريضا أو علي سفر فعدة من أيام أخر) سورة البقرة: ١٨٥؛ فلم يشترط التتابع.

١٤- يجوز للمسلم أن يصوم يوم الجمعة قضاء عن يوم من رمضان ولو منفردا، فتاوى اللجنة الدائمة ١٠/٣٤٧.

وداع رمضان

مقتطفات من كتاب لطائف المعارف للحافظ ابن رجب الحنبلي-رحمه الله-:

١) من رُحم في هذا الشهر فهو المرحوم، ومن حُرم خيره فهو المحروم، ومن لم يتزود لمعاده فيه فهو ملوم.

٢) من صام اليوم عن شهواته أفطر عليها بعد مماته، ومن تعجل ما حرم عليه قبل وفاته عوقب بحرمانه في الآخرة وفواته.

٣) كم ممن أمل أن يصوم هذا الشهر فخانه أمله فصار قبله إلى ظلمة القبر، كم من مستقبل يوما لا يستكمله، ومؤمل غدا لا يدركه، إنكم لو أبصرتم الأجل ومسيره لأبغضتم الأمل وغروره.

٤) قلوب المتقين إلى هذا الشهر تحن، ومن ألم فراقه تئن.

٥) يا شهر رمضان ترفق دموع المحبين تدفق، قلوبهم من ألم الفراق تشقق.

٦) هذا عباد الله شهر رمضان قد انتصف فمن منكم حاسب فيه نفسه لله وانتصف؟ من منكم قام في هذا الشهر بحقه الذي عرف؟ من منكم عزم قبل غلق أبواب الجنة أن يبني له فيها غرفا من فوقها غرف؟ ألا إن شهركم قد أخذ في النقص فزيدوا أنتم في العمل فكأنكم به وقد انصرف فكل شهر فعسي أن يكون منه خلف وأما شهر رمضان فمن أين لكم منه خلف.

٧) عباد الله: إن شهر رمضان قد عزم على الرحيل، ولم يبق منه إلا القليل، فمن منكم أحسن فيه فعليه التمام، ومن فرط فليختمه بالحسنى والعمل بالختام، فاستغنموا منه ما بقي من الليالي اليسيرة والأيام، واستودعوه عملاً صالحا يشهد لكم به عند الملك العلام وودعوه عند فراقه بأزكى تحية وسلام.

ماذا بعد رمضان؟

وانطلق الشيطان المريد من سلاسله وأغلاله بعد رمضان فاحذر منه ومن شره واستعن بالله وافعل الطاعات، واجتنب المنهيات، وتمسك بالكتاب والسنة حتى يحفظك الله تعالى، قال تعالى (فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين) سورة يوسف من آية ٦٤. وقال تعالى (إن كيد الشيطان كان ضعيفا) سورة النساء من آية ٧٦. وقال تعالى (وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم) سورة فصلت آية ٣٦.

الوقفة الأولى: ماذا استفدنا من رمضان؟!

هل تحققنا بالتقوى.. وتخرجنا من مدرسة رمضان بشهادة المتقين؟! هل قرأنا القرآن وتدبرناه وعملنا به ودعونا إليه؟ هل تعلمنا فيه الصبر والمثابرة على الطاعة وعن المعصية؟! هل ربينا فيه أنفسنا على الجهاد بأنواعه؟! وهل جاهدنا أنفسنا وشهواتنا وانتصرنا عليها؟ أم غلبتنا العادات والتقاليد السيئة؟!! هل.. وهل.. وهل....؟!

أسئلة كثيرة... وخواطر عديدة.. تتداعى على قلب كل مسلم صادق.. يسأل نفسه ويجيبها بصدق وصراحة إنه مدرسة إيمانية.. إنه محطة روحية. للتزود منه لبقية العام.. ولشحذ الهمم بقية العمر. فمتى يتعظ ويعتبر ويستفيد ويتغير ويُغيِّر من حياته من لم يفعل ذلك في رمضان؟! إنه بحق مدرسة للتغيير.. نغير فيه من أعمالنا وسلوكنا وعاداتنا وأخلاقنا المخالفة لشرع الله- جل وعلا- قال تعالى: (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) (سورة الرعد، الآية: ١١).

الوقفة الثانية: (ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها)

إن كنت ممن استفاد من رمضان.. وتحققت فيه بصفات المتقين.. فصمته حقاً.. وقمته صدقاً.. واجتهدت في مجاهدة نفسك فيه. فاحمد الله واشكره واسأله الثبات على ذلك حتى الممات.. وإياك ثم إياك من نقض الغزل بعد غزله بالعودة إلى المعاصي والذنوب. فنسأل الله تعالى أن يتوب علينا لنتوب.

الوقفة الثالثة: (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين). واليقين هو الموت: قال ابن رجب الحنبلي: عمل المؤمن لا ينقضي حتى يأتيه أجله. قال الحسن البصري: إن الله لم يجعل لعمل المؤمن أجلاً دون الموت ثم قرأ قوله تعالي (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) سورة الحجر:٩٩. لطائف المعارف ص٣٠٣.

هكذا يجب أن يكون العبد.. مستمرًا على طاعة الله.. ثابتًا على شرعه.. مستقيمًا على دينه.. لا يروغ روغان الثعالب يعبد الله في شهر دون شهر.. أو في مكان دون آخر.. أو مع قوم دون آخرين.. لا وألف لا!! بل يعلم أن رب رمضان هو رب بقية الشهور والأيام وأنه رب الأزمنة والأماكن كلها.. فيستقيم على شرع الله حتى يلقى ربه وهو عنه راض.

أيها المسلمون كونوا ربانيين ولا تكونوا رمضانيين. قال تعالي (فاستقم كما أمرت ومن تاب معك) (سورة هود، الآية: ١١٢)، وقال: (فاستقيموا إليه واستغفروه) (سورة فصلت، الآية: ٦). وقال صلى الله عليه وسلم: (قل آمنت بالله ثم استقم) رواه مسلم.

فلئن انتهي صيام رمضان: فهناك صيام النوافل كالست من شوال والاثنين والخميس والأيام البيض وعاشورا وعرفة وغيرها. (المحب لا يمل من التقرب بالنوافل إلى مولاه ولا يأمل إلا قربه ورضاه) لطائف المعارف ص٣٠٣.

ولئن انتهي قيام رمضان فقيام الليل مشروع في كل ليلة قال تعالى: (كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون) (سورة الذاريات، الآية: ١٧) ولئن انتهت صدقة وزكاة الفطر.. فهناك الزكاة المفروضة وهناك أبواب للصدقة والتطوع والجهاد كثيرة.

وقراءة القرآن وتدبره ليست خاصة برمضان.. بل هي في كل وقت. فمن كان يختم القرآن مرة أو مرتين في رمضان فليقرأ بعد رمضان ولو عشر آيات كل يوم، ويداوم على هذا، ويستحب للإنسان أن يداوم ولو على صلاة ركعتين قيام الليل في كل ليلة أو في كل أسبوع، وهكذا فالأعمال الصالحة في كل وقت وكل زمان ففي الصحيحين من حديث عائشة – رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل). فاجتهد أخي في الطاعات.. إياك والكسل والفتور.. فإن أبيت العمل بالنوافل.. فلا يجوز لك أبداً أن تترك الواجبات وتضيعها كالصلوات الخمس في أوقاتها مع الجماعة وغيرها.

والله الموفق والمستعان وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم أجمعين وسلم تسليمًا كثيرًا.

المسلسلات بين الماضي المشرق والحاضر المؤلم

إعداد **أحمد بن سليمان أيوب**
رئيس فرع بلبيس

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، وبعد: ففي أزمان قد خلت كان أهل العلم سادة الزمان، ونجوم المكان، ورواد الحضارة وارتفاع البنيان، وهم مشاهير الأجواء، والمؤثرون على عقول الشباب والآباء، وقد اجتمع الناس حولهم في كل فناء، وتعلموا منهم العلم بل ونقلوا عنهم الأنباء.وقد تفننوا في كل علوم الشريعة الغراء، وأتوا بتفاصيل العلوم وجلسوا للإقراء.

وكان سيد العلوم علم الحديث وقد رحلوا في طلبه، واجتهدوا في جمعه، ودأبوا على حفظه، وأمعنوا في ضبطه، وبعد ما حققوا طريقه انشغلوا بلطيف سنده من حيث رواية الأصحاب ومن روى عنهم من الأقران، والأبناء عن الآباء، والسابق واللاحق وغيرها من الأنواع.

ومن هذه اللطائف معرفة المسلسلات وقد عدوها من أنواع علوم الحديث، بل ومن المهمات، وهي عبارة عن تتابع رجال الإسناد وتواردهم فيه واحدًا بعد واحد على صفة أو حالة واحدة.

وينقسم ذلك إلى ما يكون صفة للرواية والتحمل وإلى ما يكون صفة للرواة أو حالة لهم، كأن يتسلسل الحديث بصفة لهم: كقبض الأصابع أو الجلوس أو الإشارة، وقد يتسلسل بصفة للرواة كالمسلسل بالقراء وبالحفاظ وبالفقهاء وبالنحاة وبالصوفية وبالدمشقيين وبالمصريين ونحو ذلك؛ كالمسلسل بالمحمدين، أو بمن أول اسمه عين، أو بمن في اسمه أو اسم أبيه أو نسبه أو غيرهما مما يضاف إليه نون، أو برواية الأبناء عن الآباء، أو بالمعمرين، أو بعدد مخصوص من الصحابة يروي بعضهم عن بعض، أو من التابعين كذلك. انظر فتح المغيث(٤/ ٣٨).

ولهذا النوع من علوم الحديث تفاصيله وأقسامه وأمثلته ودرجاته تراجع في موضعها من علوم الآلة، لكن الغرض هنا بيان أهمية تفاصيل العلم في أيام عزة أهل العلم والرواية، يوم أن كان العالم إذا نزل بلدة ضاقت البلدة بأهلها احتفاء به وتقديرًا لعلمه وحبًا في سماعه والتعلم منه.

روى الخطيب البغدادي بإسناده عن البخاري قال: كنا ثلاثة أو أربعة على باب علي بن عبد الله، فقال: إني لأرجو أن تأويل هذا الحديث: عن النبي صلى الله عليه وسلم: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم»، إني لأرجو أن تأويل هذا الحديث أنتم، لأن التجار قد شغلوا أنفسهم بالتجارات، وأهل الصنعة قد شغلوا أنفسهم بالصناعات، والملوك قد شغلوا أنفسهم

بالمملكة، وأنتم تحيون سنة النبي صلى الله عليه وسلم.

وروى أيضًا عن يحيى بن أكثم، قال: قال لي الرشيد: ما أنبل المراتب؟ قلت: ما أنت فيه يا أمير المؤمنين. قال: فتعرف أجل مني؟ قلت: لا. قال: لكني أعرفه: رجل في حلقة يقول: حدثنا فلان عن فلان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال: قلت: يا أمير المؤمنين هذا خير منك، وأنت ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وولي عهد المسلمين؟ قال: نعم". ويلك، هذا خير مني، لأن اسمه مقترن باسم رسول الله صلى الله عليه وسلم، لا يموت أبدًا. نحن نموت ونفنى، والعلماء باقون ما بقي الدهر. شرف أصحاب الحديث (ص١٠٠).

أما في زماننا فعندما نسمع المسلسلات فلا يتوارد في أذهاننا غير قصص الحب والروايات، وأخبار اللاهين واللاهيات، والممثلين والممثلات خاصة في موسم الذكر والقربات.

وقد أخذت المسلسلات اليوم من طاقة الأمة المال والأوقات، وأضحى أهلها تسبغ عليهم النعم وترفع عنهم العقوبات، وعظم التأثر بمشاهدتهم بل صاروا مصدر العلم والتاريخ وكل الثقافات، وتشكل الشباب بما يبث على الشاشات في كل الحلقات، مع أن عملهم ما هو إلا محاكاة لما يملى عليهم وإن اشتمل على أي آفة ومنكر بل وخرم للمروءات.

وقديمًا كان يعرف التمثيل بخيال الظل الذي عرفه العلامة عبد السلام هارون بقوله: وهو الأصل الأول للسينماء المعاصرة؛ إذ تتحرك الأشخاص والأشكال خلف ستر، وقد سلط عليها الضوء، فتبدو صورها متحركة من خلف الستر.. ومن أقدم النصوص التي سجلت فيها هذه الظاهرة، قول ابن الجوزي، المتوفى سنة ٥٩٧هـ.

وللعلامة بكر أبو زيد رحمه الله بحث ماتع حول هذه النازلة في رسالته حكم التمثيل، وقال فيها: إذا علمت أن التمثيل منقطع الصلة بتاريخ المسلمين في خير القرون، وأن وفادته إليهم كانت طارئة في فترات، وأنه في القرن الرابع عشر الهجري استقبلته دور اللهو، وردهات المسارح، ثم تسلل من معابد النصارى، إلى فريق التمثيل الديني في المدارس، وبعض الجماعات الإسلامية. إذا علمت ذلك فاعلم أن قواعد الشريعة وأصولها، وترقيها بأهلها إلى مدارج الشرف والكمال تقضي برفضه، ورده من حيث أتى، وهذا بيانها:

أولاً: معلوم أن الأعمال، إما عبادات أو عادات. فالأصل في العبادات لا يُشرع منها إلا ما شرعه الله، والأصل في العادات لا يحظر منها إلا حظره الله.

وعليه: فلا يخلو التمثيل، أن يكون على سبيل التعبد التمثيل الديني، أو من باب الاعتياد، على سبيل اللهو والترفيه.

فإن كان على سبيل التعبد، فإن العبادات موقوفة على النص ومورده، والتمثيل الديني لا عهد للشريعة به، فهو سبيل محدث، ومن مجامع ملة الإسلام قول النبي صلى الله عليه وسلم: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد).

وأما إن كان التمثيل في العادات، فهذا تشبه بأعداء الله الكافرين، وقد نهينا عن التشبه بهم، إذ لم يعرف إلا عن طريقهم، والنهي عن التشبه بهم أمر بمخالفتهم، وقد نهى الله سبحانه عن الخوض فيما يخوضون فيه، فقال تعالى: «كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ» (التوبة: ٦٩).

ثانياً: لا يخلو التمثيل أن يكون أسطورة متخيلة، فهذا كذب، والنفوس واجب ترويضها على الصدق، ومنابذة الكذب، والأساطير المختلقة المكذوبة، تشرب النفوس الكذب، وعدم التحرز منه.

وعن معاوية بن حيدة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم - قال: "ويل للذي يحدث فيكذب، ليضحك به القوم، ويل له، ويل له" - رواه أحمد، والترمذي، والحاكم وحسنه الألباني.

أو أن يكون التمثيل حقيقة بتمثيل معين، فهذا محاكاة، والمحاكاة منهي عنها بإطلاق، كما في حديث عائشة - رضي الله عنها - أن النبي صلى

الله عليه وسلم - قال: "ما أحب أني حكيت إنسانا، وأن لي كذا وكذا" رواه أحمد، وأبو داود، والترمذي، وابن الجعد وصححه الألباني.

قوله: (حكيت إنسانا) أي: قلدته في حركاته، وأقواله فهي غيبة فعليه، وهي كالغيبة القولية في التحريم سواء.

ثالثا: المروءة من مقاصد الشرع، وخوارمها من مسقطات الشهادة قضاء، والشرع يأمر بمعالي الأخلاق، وينهي عن سفاسفها. فكم رأى الراءون الممثل يفعل بنفسه الأفاعيل، في أي عضو من أعضائه، وفي حركاته، وصوته، واختلاج أعضائه، بل يمثل: دور مجنون، أو معتوه، أو أبله، وهكذا.

وقد نص الفقهاء "في باب الشهادة" على سقوط شهادة "المضحك" و "الساخر" و "المستهزئ" و"كثير الدعابة". وهذا منتشر في كلام الفقهاء من المذاهب الأربعة وغيرهم.

وذكر رحمه الله جملة وافرة على حرمة هذا الصنيع المحدث ثم ختم بحثه فقال:

والخلاصة أن التمثيل: حرفة، وأداء، وتكسبا، وعرضا، ومشاهدة، لا يجوز.

لأنه إن كان تمثيلاً دينيا فهو بدعي: لوقف العبادات على النص ومورده، ولما علمت من أصله لدى النصارى واليونان.

وإن كان غير ذلك، فهو لهو مُحرّم: لما فيه من التشبه، ولما رأيته من تفاريق الأدلة، وما يحتوي عليه، ويترتب عنه من الآثار المعارضة لآداب الشريعة، وناموس الترقي، وانحلال ربقة الآداب. وأن ما فيه من عظات، وفضائل مزعومة، فهي ضائعة مغمورة في حلبة تلك الملهيات التي توقظ نائم الأهواء، وتحرك ساكن الشهوات. كما ينطق به الواقع المرير، لتمرير الفحش والخناء، والفسوق والعصيان، وتهديم البيوت داخل أسوارها.

فهو يمثل مخاطر على العقائد، والأخلاق، والفضائل، والآداب.

وبالجملة فإن انتشار التمثيل بصفته التي تشاهد وتسمع كل يوم وليل، يمثل اعتلالا في الأمة، ونهما في اللهو واللعب، ووهنا في الدين، وفراغا من العلم، وعجزا عن تحصيله، وتحطيما للأمة في قوتها ووقتها وتنمية طاقاتها ومواهبها، فما هي إلا وسيلة عدوان على الأمة، وتخطيط رهيب لتعيش سادرة، تخوض فيما لا ينفعها في دينها ولا في دنياها، بل هو ضرر محض عليها في الدين والدنيا.

وإفساد الإنسان، وانهيار أخلاقه، بغرض السيطرة عليه: مخطط تخريبي، يهودي.

وفي (بروتوكولات يهود): يجب أن نعمل لتنهار الأخلاق في كل مكان، فتسهل سيطرتنا، إن (فرويد) منا، وسيظل يعرض العلاقات الجنسية في ضوء الشمس لكي لا يبقى في نظر الشباب شيء مقدس، ويصبح همه الأكبر إرواء غرائزه الجنسية، وعندئذ تنهار أخلاقه) انتهى.

والتاريخ يحفظ في سطوره أن الهيام في المضحكات والترفيهات من علائم الانحطاط وانقراض الدول.اهـ

إن الأمم لن تنهض إلا بالعلم الموروث من الكتاب والسنة النبوية، وليس من المسلسلات والأفلام ومواقع التسلية، فهي والله باب عظيم للفتنة الدهماء، وذياع صيت الأدعياء، وإخمال ذكر الأولياء.

وعلى المسلم أن يغلق باب الفتنة وأسبابها فقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم الأمة من الدخول فيها فقال في حديث النواس بن سمعان قال: ضرب الله تعالى مثلاً صراطا مستقيما، وعلى جنبتي الصراط سوران، فيهما أبواب مفتحة، وعلى الأبواب ستور مُرخاة، وعلى باب الصراط داع يقول: يا أيها الناس! ادخلوا الصراط جميعا ولا تتعوجوا، وداع يدعو من فوق الصراط، فإذا أراد الإنسان أن يفتح شيئا من تلك الأبواب قال: ويحك لا تفتحه، فإنك إن تفتحه تلجه، فالصراط الإسلام، والسوران حدود الله، والأبواب المفتحة محارم الله تعالى، وذلك الداعي على رأس الصراط كتاب الله، والداعي من فوق واعظ الله في قلب كل مسلم. أخرجه الترمذي (٢٨٥٩).

فلا تفتح الحلقة الأولى لأنها ستجرك إلى باقي الحلقات، وإنك لو فتحت لانفتح لك باب من المتابعة والاسترسال، والمشاهدة والاهتمام، وتقديمها على سائر الأعمال والمسؤوليات.

فاللهم إنا نسألك أن تصرف عن الشر الأشرار وكيد الفجار، وصل اللهم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

دروس وعِبر من رحيل شهر رمضان

إعداد أ. عبد العزيز مصطفى الشامي

الحمد لله رب العالمين، سبحانه وتعالى له الحمد الحسن والثناء الجميل، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فينبغي للعاقل أن يقف مع أيام الله -تبارك وتعالى- وقفة مُتأمل، وأن يَعتبر بمرورها، فقد أمر ربنا -سبحانه وتعالى- نبيه موسى -عليه السلام- أن يُذَكِّر قومه بأيام الله؛ فقال -تبارك وتعالى-: ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ (إبراهيم: ٥)؛ أي: وَذَكِّرْهُم بنعم الله عليهم وإحسانه إليهم، وبأيامه في الأمم المكذبين، ووقائعه بالكافرين؛ ليشكروا نعمه وليحذروا عقابه، «إنّ في ذلك»؛ أي: في أيام الله على العباد «لآيات لكل صبّار شكور»؛ أي: صبّار في الضراء والعسر والضيق، شكور على السراء والنعمة.

والعبد له في أيام دهره نظرات، يتطلع فيها لرحمات الله -تبارك وتعالى-، وينتظر فيها فرَجه ومدده وحُسن عطائه لمن أطاعه، وصبر على أوامره، وابتعد عن نواهيه، أما الغافل قليل العلم والصبر ضعيف الطاعة والاتباع فهو متّبع لهواه غير متفكّر في آلاء الله ونعمه، ولا يُعمل حواسه في تدبُّر الكون وعظمته ليحصل اليقين في القلب؛ فتنقاد الجوارح للحق ويحسن حال البدن فيما يرضي الله تعالى.

ومع رحيل شهر رمضان؛ فهذا تذكير ببعض الوقفات السريعة والمهمة التي ينبغي للمسلم أن يتفكر فيها:

الوقفة الأولى: الانتباه لمرور العُمر والحذر من الدنيا

إن عُمر الإنسان هو كنزه الحقيقي ورأس ماله، وإن تضييعه والتفريط في ساعاته وأيامه لمن الخسارة والغبن الذي يقع فيه كثير من الناس، وصدق رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حيث قال: «نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فيهما كَثِيرٌ من النَّاسِ: الصِّحَّةُ والفَرَاغُ» (صحيح البخاري: ٦٤١٢).

لذلك فمن الأمور المهمة التي ينبغي أن يقف معها العبد مع رحيل رمضان: وصية النبي لعبد الله بن عمر -رضي الله عنهما-. فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- قَالَ:

"أخذ رسول الله بمنكبي، فقال: كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل". وكان ابن عمر يقول: إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك. (صحيح البخاري: ٦٤١٦). فالنبي-صلى الله عليه وسلم- يوصي عبد الله بن عمر وهو من آخر الصحابة موتا، يوصي شابًا في العشرين من العمر بقصر الأمل والحذر من الدنيا.

إن من ملامح ختام شهر رمضان أن يتذكر الإنسان خواتيم الأعمال وخواتيم الأعمار، وألا يغفل عما يحمل من الآثام والأوزار، فكل شيء عند الله بأجل مسمى ومقدار، والعاقل من انتبه وأخذ أهبته، واستعد لسفر طويل، وإقامة طويلة في القبور، فيعمل لهذا اليوم ولا تشغله الدنيا بغرورها.

قال الحافظ ابن رجب الحنبلي-رحمه الله- معلقا على وصية النبي-صلى الله عليه وسلم- لابن عمر: «هذا الحديث أصل في قصر الأمل في الدنيا، وأن المؤمن لا ينبغي له أن يتخذ الدنيا وطنًا ومسكنًا، فيطمئن فيها، ولكن ينبغي أن يكون فيها كأنه على جناح سفر يهيئ جهازه للرحيل، قال تعالى: «يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع وإن الآخرة هي دار القرار»، وكان النبي-صلى الله عليه وسلم-يقول: «ما لي وللدنيا، إنما مثلي ومثل الدنيا كمثل راكب قال في ظل شجرة، ثم راح وتركها» (رواه أحمد، والترمذي، وقال حسن صحيح).

وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول: «إن الدنيا قد ارتحلت مدبرة، وإن الآخرة قد ارتحلت مقبلة، ولكل منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا؛ فإن اليوم عمل ولا حساب، وغدًا حساب ولا عمل».

وقال عمر بن عبد العزيز-رحمه الله- في خطبته: «إن الدنيا ليست بدار قراركم، كتب الله عليها الفناء، وكتب على أهلها منها الظعن، فأحسنوا رحمكم الله منها الرحلة بأحسن ما يحضركم من النقلة، وتزودوا فإن خير الزاد التقوى» (حلية الأولياء).

الوقفة الثانية: الجمع بين الإحسان والخوف

إن من تأمل أحوال الأنبياء والصحابة والصالحين وجدهم في غاية العمل مع غاية الخوف، فهم جمعوا بين الإحسان والخوف، ونحن جمعنا بين الإساءة والأمن، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وقد كان السلف-رحمهم الله تعالى- يحسنون في أعمالهم، ويتقون الله ما استطاعوا، وهم مع ذلك لا يُعجبون بعمل ولا يُفتنون بثناء الناس ولا محمدة الخلق.

قال ابن القيم-رحمه الله-: «إذا أراد الله تعالى بعبد خيرا سلب رؤية أعماله الحسنة من قلبه، والإخبار بها من لسانه، وشغله برؤية ذنبه؛ فلا يزال نُصب عينيه حتى يدخل الجنة؛ فإن ما تقبل من الأعمال رُفع من القلب رؤيته، ومن اللسان ذكره. وقال بعض السلف: إن العبد ليعمل الخطيئة فيدخل بها الجنة، ويعمل الحسنة فيدخل بها النار. قالوا كيف؟ قال: يعمل الخطيئة، فلا تزال نصب عينيه، إذا ذكرها ندم واستقال وتضرع إلى الله، وبادر إلى محوها، وانكسر وذل لربه، وزال عنه عُجبه وكبره، ويعمل الحسنة فلا تزال نصب عينيه يراها ويمن بها ويعتد بها، ويتكبر بها حتى يدخل النار» (طريق الهجرتين: ص١٧٢).

وقد حفلت مرويات السنة وكتبها بالعديد من المواقف الرائعة التي تبين شيئًا من عظمة هذا الجيل الفريد، ولا عجب فالمربي الأول والمعلم الأعظم لهم هو رسول الله. فقد بين الحبيب النبي صلى الله عليه وسلم أن العبد العاقل لا يرتكن على عمل ضعيف لا يدري أقبله الله منه أم لا، وإنما العبد الموفق من يعمل ويعبد ويجد ويعتمد بعد كل ذلك على الطمع فيما عند الله، فلا يُدل بعمل ولا يستولي عليه العُجب، بل يتواضع لربه لعله يقبل منه، ويخفض جناحه لعل الله يمن عليه بالقبول، فعن عائشة رضي الله عنها أن النبي-صلى الله عليه وسلم- قال: «سددوا وقاربوا، وأبشروا؛ فإنه لا يُدخل أحدًا الجنة عمله». قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله

بمغفرة ورحمة» (صحيح البخاري: ٦٤٦٧).

وثبت عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنه أنها قالت: قلتُ: يا رسول الله «الذين يُؤتون ما آتوا وقلوبُهم وجلة»: أهو الرَّجل يزني ويسرق ويشربُ الخمر؟ قال: لا يا بنت أبي بكر، أو لا يا بنت الصِّديق، ولكنه الرَّجل يصوم ويصلي ويتصدَّق وهو يخاف أنْ لا يُقبل منه (رواه أحمد والحاكم وصححه ووافقه الذهبي وحسنه الألباني).

فهذه أم المؤمنين تظن أن الخائف ذا القلب الوجل هو إنسان أتى من الموبقات والكبائر ما يُسخط الله عليه، ومثله يحق له الخوف، بل يجب، فصحح لها النبي-صلى الله عليه وسلم- الفهم، وأرشدها إلى أن المتقين من عباد الله يجمعون مع الإحسان خوف عدم القبول، وقد خاف إبراهيم الخليل-عليه السلام- ورجا وطمع في القبول، قال تعالى: «وإذْ يرفعُ إبراهيمُ القواعدَ من البيتِ وإسماعيلُ ربَّنا تقبَّلْ منَّا إنَّك أنتَ السميعُ العليمُ» (البقرة: ١٢٧).

وهناك مثل آخر من تواضع السلف، فقد روى الإمام البخاري في صحيحه في سياق موت عمر بن الخطاب-رضي الله عنه- وهو حديث طويل وفيه: «وكأنَّ النَّاس لم تُصبهُم مُصيبةٌ قبل يومئذ؛ فقائلٌ يقول: لا بأس، وقائلٌ يقول: أخاف عليه، فأُتي بنبيذ فشربه، فخرج من جوفه، ثمَّ أُتي بلبن فشربه فخرج من جُرحه؛ فعلموا أنَّه ميِّت، فدخلنا عليه وجاء النَّاس فجعلوا يُثنون عليه، وجاء رجُلٌ شابٌّ، فقال: أبشرْ يا أمير المؤمنين ببُشرى الله لك من صُحبة رسول الله، وقدمٍ في الإسلام ما قد علمتَ، ثمَّ وليت فعدلت، ثمَّ شهادةٌ. فقال عمر: وددتُ أنَّ ذلك كفافٌ لا عليَّ ولا لي» (صحيح البخاري: ٣٧٠٠).

فانظر-رحمني الله وإياك- إلى هذا الجيل جيل الصحابة، يُمدح عمر-رضي الله عنه- بأعمال حقيقية عملها، وهو أولى بتلك البشارات في سكرات الموت ليُحسِّن ظنه بربه، ولكنه يأبى في مَثل عجيب، ويتمنى وهو الصادق البارّ أن يخرج منها كفافا، وأحدنا الآن لصلاة ركعات وصيام أيام يظن نفسه في أعلى الدرجات وأرفع المنازل، فتواضعوا يا أهل الخير، وانظروا في صفحات أعمال السلف الصالح؛ تعرفوا قيمة أنفسكم، وتصيروا إلى حال أحسن من حالكم؛ بتوفيق الله تبارك وتعالى.

وهذا مثل آخر طيب فريد رواه الامام البخاري في صحيحه عن ابن لعبد الرحمن بن عوف-رضي الله عنه- قال: «أتي عبد الرحمن بن عوف-رضي الله عنه- يومًا بطعامه وكان صائمًا؛ فقال: قُتل مُصعبُ بنُ عُمير وكان خيرًا منِّي، فلم يُوجد له ما يُكفن فيه إلا بُردة، وقُتل حمزة أو رجلٌ آخرُ خيرٌ منِّي؛ فلم يُوجد له ما يُكفَّن فيه إلا بُردة، لقد خشيتُ أن يكون قد عُجِّلت لنا طيباتنا في حياتنا الدُّنيا، ثم جعل يبكي» (صحيح البخاري ١٢٧٤).

بكى ولم يتناول طعام الإفطار وكان صائمًا؛ عندما تذكر إخوة له صالحين سبقوه إلى الله تعالى، ولحسن ظنه بهم فضلهم على نفسه، مع أنه أفضل منهم؛ فهو من العشرة المبشرين بالجنة-رضي الله عنهم جميعًا-.

وهذا صحابي آخر جليل قد لا يعلم اسمه منا إلا القليل، هو عتبة بن غزوان-رضي الله عنه- سابع من أسلم، روى الإمام مسلم في صحيحه عن خالد بن عُمير العدوي قال: خطبنا عُتبةُ بنُ غزوان، فحمد الله وأثنى عليه، ثمَّ قال: أمَّا بعد؛ فإنَّ الدُّنيا قد آذنت بصُرم، وولَّت حذَّاء، ولم يبقَ منها إلا صُبابةٌ كصُبابة الإناء يتصابُّها صاحبُها، وإنَّكم منتقلون منها إلى دار لا زوال لها؛ فانتقلوا بخير ما بحضرتكم، ولقد رأيتُني سابع سبعة مع رسول الله ما لنا طعامٌ إلا ورقُ الشَّجر، حتَّى قرحتْ أشداقُنا، فالتقطتُ بُردةً فشققتُها بيني وبين سعد بن مالك، فاتَّزرتُ بنصفها واتَّزر سعدٌ بنصفها؛ فما أصبح اليومَ منَّا أحدٌ إلا أصبح أميرًا على مصرٍ من الأمصار، وإني أعوذُ بالله أن أكون في نفسي عظيمًا وعند الله صغيرًا (صحيح مسلم: ٢٩٦٧).

يقول: وإني أعوذ بالله أن أكون في نفسي عظيمًا وعند الله صغيرًا، وهو سابع سبعة في الإسلام، رضي الله عن الصحابي الجليل عتبة بن غزوان، ولنتعلم أن رؤية النفس والعُجب

بالعمل أصل كل بلية ومجمع الرزايا.

وهذا شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله- مع عبادته واجتهاده ومكانته العلمية كان متواضعًا هاضمًا لنفسه، مُنكرًا لذاته، يقول ابن القيم-رحمه الله-: «كان كثيرًا ما يقول: ما لي شيء، ولا مني شيء، ولا فيَّ شيء»، وإن مدحه أحد في وجهه قال: «والله إني إلى الآن أجدد إسلامي كل وقت، وما أسلمت بعدُ إسلامًا جيدًا» (مدارج السالكين: ١/ ٥٢٠).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله- محذرًا من العجب بالعمل: «وكثيرًا ما يُقرن الرياء بالعُجب، فالرياء من باب الإشراك بالخلق، والعُجب من باب الإشراك بالنفس، وهذا حال المستكبر» (مجموع الفتاوى ١٠/٢٧٧).

وقال ابن القيم-رحمه الله- موضحًا علاقة الصالحين مع ربهم: «والمقصود أن العبد يقوى إخلاصه لله وصدق معاملته، حتى لا يحب أن يطلع أحد من الخلق على حاله مع الله ومقامه معه؛ فهو يُخفي أحواله غيرةً عليها من أن تشوبها شائبة الأغيار، ويخفي أنفاسه خوفًا عليها من الداخلة، وكان بعضهم إذا غلبه البكاء وعجز عن دفعه يقول: لا إله إلا الله! ما أشدَّ الزكام!» (مدارج السالكين: ٣/ ٣٧٤).

وقال أيضا-رحمه الله- في وصف الصالحين وأعمالهم: «فإن العبد الصادق لا يرى نفسه إلا مقصرًا، والموجب له لهذه الرؤية استعظام مطلوبه، واستصغار نفسه ومعرفته بعيوبها، وقلة زاده في عينه، فمن عرف الله وعرف نفسه، لم يرَ نفسه إلا بعين النقصان» (مدارج السالكين: ٢/ ٢٦٩).

وقال عبد العزيز بن أبي رواد-رحمه الله-: «أدركتهم -أي الصحابة والتابعين- يجتهدون في العمل الصالح فإذا فعلوه، وقع عليهم الهمُّ أيقبل منهم أم لا» (لطائف المعارف: ص٢٠٩)

وقال الحسن البصري رحمه الله: «كانوا – أي الصحابة والتابعين- إذا عملوا الحسنة دأبوا في شكرها، وسألوا الله أن يَقبلها، وإذا عملوا السيئة أحزنتهم، وسألوا الله أن يغفرها؛ فما زالوا كذلك على ذلك؛ فوالله ما سلموا من الذنوب، ولا نجوا إلا بالمغفرة» (كتاب الزهد للإمام أحمد رحمه الله: ١/ ٢٣١).

الوقفة الثالثة: علامة القبول

إن حاجة العبد لعبادة الله أكيدة، وهو لا يستغني عن ربه طرفة عين. قال الإمام ابن القيم-رحمه الله تعالى- «في القلب فاقة عظيمة وضرورة تامة وحاجة شديدة لا يسدها إلا فوزه بحصول الغنى بحب الله الذي إن حصل للعبد؛ حصل له كل شيء، وإن فاته؛ فاته كل شيء. فكما أنه سبحانه الغني على الحقيقة، ولا غني سواه، فالغنى به وبحبه هو الغنى في الحقيقة، ولا غنى بغيره ألبتة، فمن لم يستغن به عما سواه؛ تقطعت نفسه حسرات، ومن استغنى به زالت عنه كل حسرة وحضره كل سرور وفرح، والله المستعان (طريق الهجرتين: ص٣٤).

وقال-رحمه الله- مبينًا حال الصالحين الصادقين المداومين على الطاعة: «ومن علامات الصادقين التحبب إلى الله بالنوافل والإخلاص في نصيحة الأمة، والأنس بالخلوة والصبر على مقاساة الأحكام، والإيثار لأمر الله، والحياء من نظره، والتعرض لكل سبب يوصل إليه» (مدارج السالكين: ٢/ ٣٤٦).

وعليه فإن أبين علامة على القبول هي استمرارُ العبد على الخير والعمل الصالح بعد رحيل شهر رمضان؛ قال بعضهم: «ثوابُ الحسنة الحسنة بعدها، فمن عمل حسنة ثم أتبعها بحسنة بعدها كان ذلك علامة على قبول الحسنة الأولى، كما أن من عمل حسنة ثم أتبعها بسيئة كان ذلك علامة رد الحسنة وعدم قبولها».

ما أحسن الحسنة بعد السيئة تمحوها! وأحسنُ منها الحسنة بعد الحسنة تعقبها، وما أقبح السيئة بعد الحسنة تمحقها

وتعفوها، فلا ترجع أخي إلى المعصية بعد رمضان، واصبر عن لذة الهوى بحلاوة الإيمان، واصبر لله تعالى يعوضك خيرًا، قال الله تعالى: (إِن يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ» (الأنفال: ٧٠).

وتلك قاعدة سنَّها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بقوله: «أحبَّ الأعمال إلى الله أدومها وإن قل» (صحيح البخاري: ٦٤٦٤)، وقالت أم المؤمنين عائشة-رضي الله عنها-: «وكان أحب الدين إليه ما داوم عليه صاحبه» (صحيح البخاري: ٤٣).

إن استدامة الطاعة والمداومة على الأعمال الصالحة لهي في الحقيقة من عوامل الثبات على دين الله وشرعه. قال تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ» (الأحقاف: ١٣)، وإن ترك المحرمات والعمل بما يُوعَظ به المرء من قبل خالقه ومولاه لأمر يحتاج إلى ترويض ومجاهدة من أجل الحصول على العاقبة الحميدة وحسن الفائدة.

الوقفة الرابعة: بماذا نختم شهرنا؟

أمر الله عباده أن يختموا أعمالهم العظيمة بالاستغفار والتوبة، فبعد كل صلاة استغفار، فعَنْ ثَوْبَانَ-رضي الله عنه- قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّه -صلى الله عليه وسلم- إِذَا انْصَرَفَ مِنْ صَلَاتِه اسْتَغْفَرَ ثَلَاثًا، وَقَالَ «اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ وَمِنْكَ السَّلَامُ، تَبَارَكْتَ ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَام» قَالَ الْوَلِيدُ فَقُلْتُ لِلْأَوْزَاعِيِّ كَيْفَ الِاسْتِغْفَارُ؟ قَالَ تَقُولُ أَسْتَغْفِرُ اللَّه، أَسْتَغْفِرُ اللَّه (صحيح مسلم: ٥٩٢).

والحاج بعد نزوله من عرفة أمرَ الاستغفار؛ قال الله تعالى: «ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ» (البقرة: ١٩٩).

بل إن الله-تبارك وتعالى- أمر النبي -صلى الله عليه وسلم- أن يختم عمره المبارك بالاستغفار، فقال جل وعلا: «إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ① وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ② فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا» (سورة النصر: ١-٣)، وعَنْ عَائِشَةَ-رَضِيَ اللَّه عَنْهَا- قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ فِي رُكُوعِه وَسُجُودِه: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي؛ يَتَأَوَّلُ الْقُرْآنَ (صحيح البخاري: ٧٩٤).

وإن العبد ليتحسر على تفريطه، فبالأمس كنا ننتظر رمضان، وها نحن الآن نودعه، وهكذا تمضي الأعمار، وإنما العبد جملة من أيام، كلما ذهب يوم ذهب بعضه هذا رمضان يمضي، كما كان بالأمس يأتي، فسبحان مَن قلَّب الليل والنهار، وأجرى الدهور والأعوام، وفي ذلك معتبر للمعتبرين، وموعظة للمتقين.

وبعد، فهذا رمضان تُطوى صحائفه بأعمال العباد، ولا تُنشر إلا يوم القيامة والحساب، ولا ندري أندرك رمضان القابل أم لا؟ فالله المستعان.

وكتب عمر بن عبد العزيز-رحمه الله تعالى- إلى الأمصار يأمرهم بختم شهر رمضان بالاستغفار والصدقة صدقة الفطر؛ فإن صدقة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث، والاستغفار يُرقِّع ما تخرَّق من الصيام باللغو والرفث؛ ولهذا قال بعض المتقدمين: «إن صدقة الفطر للصائم كسجدتي السهو للصلاة».

وقال عمر بن عبد العزيز في كتابه: قولوا كما قال أبوكم آدم-عليه السلام-: «رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ»، وقولوا كما قال نوح-عليه السلام-: «وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ»، وقولوا كما قال إبراهيم-عليه السلام-: «وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ»، وقولوا كما قال موسى-عليه السلام-: «رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي»، وقولوا كما قال ذو النون-عليه السلام-: «لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ» (لطائف المعارف: ص٣٧٧).

أسأل الله العلي القدير أن يتقبلنا بقبول حسن، وأن يصلح قلوبنا وأعمالنا، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(العلماء الربانيون)

إعداد د. محمد عبد العزيز
رئيس فرع العاشر

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على رسوله الذي اصطفى، ومن تبع طريقه واقتفى، وبعد:

فإن للعلماء والدعاة والمتصدرين لتوجيه الأمة دورًا عظيمًا في صلاحها ورقيها وتماسكها إذا صلحوا وكانوا على علم صحيح ومنهج قويم؛ فهم الموجِّهون الناصحون الذين يهتدى بهديهم، وذلك أن البيان لشرع الله، والبلاغ عن الله ورسوله، والنصح والإرشاد والأخذ بأيدي الناس إلى صراط الله المستقيم من أهم الأدوار التي تضلعوا بها.

وضلال العلماء والدعاة والمتصدرين لتوجيه الناس وجهلهم وانحرافهم عن السبيل له دور خطير في إفساد الأمم واضلالها والحيدة بها عن صراط الله المستقيم.

ولذا رتَّب الله لهم عظيم الأجر إن اهتدى الناس بهم إلى صراط الله، وتوعدهم بعظيم الإثم إن ضل الناس بدعوتهم عن السبيل القويم، عن أبي هريرة-رضي الله عنه- قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: «من دعا إلى هدى، كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا. ومن دعا إلى ضلالة، كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئًا». (أخرجه مسلم: ٢٦٧٤).

فالعلماء صمام الأمة تصح الأمة بهم وتمرض، وتضل بفقدهم أو انحرافهم، ولذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يُبق عالمًا اتخذ الناس رؤوسًا جهالاً، فسُئلوا فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا» (أخرجه البخاري (١٠٠)، ومسلم (٢٦٧٣) من حديث عبد الله بن عمرو).

وفضل العلم وحمَلته والناشرين له فضل عظيم تضافرت نصوص الوحيين على بيانه، وأجمعت الأمة على معناه، وشهدت الفطر السليمة بصحته.

فمن فضلهم الذي ورد في الكتاب:

قول الله تعالى: «يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ» (سورة المجادلة: ١١)، وقوله سبحانه: «قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ» (سورة الزمر ٩)؛ فأخبر الله تعالى برفعة درجاتهم عن سائر المؤمنين.

وجمع الله بين شهادة الملائكة وشاهدتهم وقرن الشاهدتين بشاهدته لنفسه العلية بالتوحيد، وهذه خصوصية لهم من بين سائر المخلوقات، فقال: «شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» (سورة آل عمران: ١٨)، وقصر الله الخشية فيهم قصرًا إضافيًا، فقال: «إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ» (سورة فاطر: ٢٨)؛ ذلك أن العبد كلما كان بالله أعرف كان له أخشى وأطوع.

ومن فضلهم الذي ورد في السنة:

حديث كثير بن قيس، قال: «كنت جالسًا مع أبي الدرداء في مسجد دمشق، فجاءه رجل، فقال: يا أبا الدرداء: إني جئتك من مدينة الرسول-صلى الله عليه وسلم- لحديث بلغني أنك تحدثه، عن رسول الله- صلى الله عليه وسلم-، ما جئت لحاجة.

قال أبو الدرداء: فإني سمعت رسول الله- صلى الله عليه وسلم- يقول: "من سلك طريقًا يطلب فيه علمًا سلك الله عز وجل به طريقًا من طرق الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضًا لطالب العلم، وإن العالم ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض والحيتان في جوف الماء، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا، ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر» (أخرجه أبو داود (٣٦٤١)، والترمذي (٢٦٨٢)، وابن ماجه (٢٢٣)، قال الألباني حديث حسن لغيره).

على أن كتب السنة مليئة بالنصوص الواردة في فضلهم، وقد اخترت هذا الحديث لأنه جامع لكثير من الفضائل.

هذا الذي سبق متفق عليه لا خلاف فيه، لكن بقي أن ينظر هل تنطبق هذه الفضائل على كل متصدر لتوجيه الناس ودعوتهم؟ والإجابة الصريحة التي يشهد بها الوحيان: لا.

بل إن من المتصدرين لتلقين العلم وبثه في الناس وتوجيههم منهم من هو مأجور محمود يُرجى له أن يكون من أصحاب تلك الفضائل، وهم كُثر في الأمة بفضل الله.

ومنهم من هو مذموم محبط الأجر، بل منهم من يكون من أول من تسعر بهم النار، ومنهم من يحمل أوزارًا وآثامًا فوق آثامه وأوزاره بإضلاله لكثير من الناس وانحرافه بهم عن السبيل القويم.

فالمتصدرون للدعوة وموجهو الأمة في الجملة أربعة أقسام:

القسم الأول: العلماء الربانيون

الذين جمعوا العلم والعمل والإخلاص، فيُمَسِّكون الناس بالكتاب، ويُرى أثر العلم عليهم في سَمْتهم وهديهم ودعوتهم، فهؤلاء هم ورثة علم النبوة، يدخلون حقًا في النصوص الواردة في فضل العلماء.

وهؤلاء قبل أن يتصدروا، حصّلوا من علوم الغايات، وعلوم الوسائل ما يؤهلهم للنظر في أدلة الشريعة، فمصيبهم مأجور، ومخطئهم غير مأزور.

القسم الثاني: العاملون بأمر الله تعالى

الذين جمعوا العلم وتقفروه وبذلوا الغالي والنفيس من أموالهم وأنفسهم وأوقاتهم في تحصيله والدعوة به، لكن لهم دخيلة نفس انحرفت بهم عن طلب الآخرة بذلك، وانما أرادوا بذلك تحصيل منصب أو شرف دنيوي، أو صرف وجوه الناس إليهم، فهؤلاء مغبونون خاسرون من جراء خبيثة نفوسهم.

عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: «إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه: رجل استشهد فأتي به فعرفه نعمته فعرفها. قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت. قال: كذبت، ولكنك قاتلت، لأن يقال: هو جريء، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار.

ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتي به فعرفه نعمه فعرفها. قال: فما عملت فيها؟

قال: تعلمت العلم، وعلمته، وقرأت فيك القرآن. قال: كذبت، ولكنك تعلمت ليقال: عالم، وقرأت القرآن ليقال: هو قارئ، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار.

ورجل وسّع الله عليه وأعطاه من أصناف المال فأتي به فعرفه نعمه فعرفها. قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك. قال: كذبت، ولكنك فعلت ليقال: هو جواد فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار» (رواه مسلم (١٩٠٥)).

فهذان صنفان من العلماء والدعاة والمتصدرين لتوجيه الأمة جمع بينهما الاتصاف بالعلم والدعوة إليه، وفرق بينهما خبيئة النفس فكان أحدهما من الفائزين، والآخر من الخاسرين.

القسم الثالث: صاحب هوى يدعو الناس إليه

فما وافق الشرع من هواه أخذ به ودعا الناس إليه وما خالفه استدبره خلفه، وقد ذم الله هؤلاء في كتابه، فقال: «وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ» (ص: ٢٦)، وقال: «أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ» (الجاثية: ٢٣)، وقال: «فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ» (القصص: ٥٠) وهاتان الآيتان وان كانتا في الكفار الذين يجحدون الرسالة لكن كل من تبع هواه له حظ منهما بمقدار ما تنكب.

ومتبع الهوى يسلك أحد مسلكين:

المسلك الأول: تتبع الرخص والأقوال الشاذة:

وهي التي تُعرف بزلات العلماء ونوادرهم، وهذا المسلك انحراف عن سبيل الله وخروج عن الشرع، قال الشاطبي في الموافقات (٩٩/٥): «تتبُّع الرخص ميل مع أهواء النفوس، والشرع جاء بالنهي عن اتباع الهوى، فهذا مضاد لذلك الأصل المتفق عليه، ومضاد أيضا لقوله تعالى: «فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ» (النساء: ٥٩)».

وهذا المتتبع للرخص والنوادر والشذوذات آثم على كل حال، وان أصاب الحق بتتبعه للرخصة وأغاليط العلماء في مسألة بعينها. قال ابن تيمية-مجموع الفتاوى جمع ابن القاسم- (٤٨٠/١): «قال عمر بن عبد العزيز: لا تكن ممن يتبع الحق إذا وافق هواه، ويخالفه إذا خالف هواه؛ فإذن أنت لا تُثاب على ما اتبعته من الحق وتعاقب على ما خالفته.

وهو كما قال-رضي الله عنه- لأنه في الموضعين إنما قصد اتباع هواه لم يعمل لله. ألا ترى أن " أبا طالب " نصر النبي-صلى الله عليه وسلم- وذبَّ عنه أكثر من غيره؛ لكن فعل ذلك لأجل القرابة لا لأجل الله تعالى؛ فلم يَتقبل الله ذلك منه ولم يثبه على ذلك.

وأبو بكر الصديق-رضي الله عنه- أعانه بنفسه وماله لله؛ فقال الله فيه: «وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى (١٧) الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى (١٨) وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ

تُجزَى (١٩) إلا ابْتِغاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الأعْلى (٢٠) ولَسوفَ يَرضَى» (الليل: ١٧ - ٢١).

وتتبُّع الرُّخص محرم بإجماع، وقد نقل الإجماع على ذلك كل من ابن حزم وابن عبد البر وأبي الوليد الباجي، والشاطبي (مراتب الإجماع (٥١)، والموافقات (٥/٨٢، ٩١)).

وتتبُّع الرُّخص دون مستند شرعي زندقة؛ نقل ابن عبد البر عن سليمان التيمي قوله: «إن أخذت برخصة كل عالم اجتمع فيك الشر كله. ثم قال أبو عمر: «هذا إجماع لا أعلم فيه خلافًا، والحمد لله» (جامع بيان العلم وفضله (٢/٩٢٧)).

وقال الشاطبي في الموافقات (٣/١٢٣): «فإذا صار المكلف في كل مسألة عنت له يتبع رُخص المذاهب، وكل قول وافق هواه؛ فقد خلع ربقة التقوى، وتمادى في متابعة الهوى، ونقض ما أبرمه الشارع، وأخر ما قدمه».

والفرق بين تتبُّع زلات العلماء ونوادرهم والأخذ برُخصهم وبين الأخذ بالأيسر:

أن المتتبع للرخص يأخذ بها دون النظر إلى الدليل الشرعي فينزل أقوال الفقهاء منزلة الشريعة، أما الآخذ بالأيسر لدلالة الشرع عليه فإنه متمسك بالوحيين صادر عنهما.

المسلك الثاني: الكذب الصريح على الشرع:

فيحلل الحرام، ويحرم الحلال، وهذا وإن كان يشترك مع المسلك الثاني في الإثم؛ إلا أنه أعظم وأكبر إثمًا وجرمًا، قال تعالى: «وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ» (النحل: ١١٦).

قال ابن كثير في تفسير القرآن العظيم (٤/٦٠٩): «ويدخل في هذا كل من ابتدع بدعة ليس له فيها مستند شرعي، أو حلل شيئًا مما حرم الله، أو حرم شيئًا مما أباح الله، بمجرد رأيه وتشهيه».

القسم الرابع: الذين يتكلمون في شرع الله بغير علم

فينسبون إلى الله وشرعه بالظنون، ما ليس منه، وقد يكون هؤلاء من أصحاب النيات الصالحة، لكن ضل بهم السبيل، وهذا الفعل كبيرة من كبائر الإثم.

ويلحق بهؤلاء كثير من الدهماء، وأنصاف طلاب العلم الذين لم يتشبعوا به، فيتكلمون في شرع الله بغير علم ولا هدى، وهؤلاء إذا أصابوا الحق فهم آثمون لتجرئهم على الله.

قال تعالى: «وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (١٦٨) إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ» (سورة البقرة: ١٦٩).

قال ابن كثير في تفسير القرآن العظيم (١/٤٧٩): «إنما يأمركم عدوكم الشيطان بالأفعال السيئة، وأغلظ منها الفاحشة كالزنا ونحوه، وأغلظ من ذلك وهو القول على الله بلا علم، فيدخل في هذا كل كافر وكل مبتدع أيضًا».

وقال ابن قيم الجوزية في أعلام الموقعين (١/٣٩): «وقد حرم الله سبحانه القول عليه بغير علم في الفتيا والقضاء وجعله من أعظم المحرمات، بل جعله في المرتبة العليا منها، فقال تعالى: «قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ» (سورة الأعراف: ٣٣)؛ فرتَّب المحرمات أربع مراتب؛ وبدأ بأسهلها، وهو الفواحش، ثم ثنَّى بما هو أشد تحريمًا منه وهو الإثم والظلم، ثم ثلث بما هو أعظم تحريمًا منهما وهو الشرك به سبحانه، ثم ربَّع بما هو أشد تحريمًا من ذلك كله وهو القول عليه بلا علم».

فلينظر مَن تصدَّر للبلاغ عن الله أين موطئ قدمه؟، ولينظر من أخذ عنهم دينه من الذي يجعله واسطة تبليغ بينه وبين ربه؟هذا والله أعلم، وأحكم.

قصة الملك الذي سأل ربه: «هل خلقتُ خلقًا أعبد مني؟»

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:

فنواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم حتى يقف على حقيقة هذه القصة الواهية التي اشتهرت على ألسنة الوعاظ والقصاص، وإلى القارئ الكريم التخريج والتحقيق:

أولا: أسباب ذكر هذه القصة:

١- وجود هذه القصة في بعض كتب السنة الأصلية كما سنبين من التخريج يجعل من لا دراية له بالتحقيق وعلل الحديث يتوهم أن القصة صحيحة.

٢- في الحديث الذي جاءت به هذه القصة مجازفات منها كما سنبين من المتن: أن لله ملكًا له ألف رأس، في كل رأس ألف وجه، في كل وجه ألف فم، في كل فم ألف لسان، يسبح الله تعالى بكل لسان بألف لغة.

٣-انظر إلى نتائج هذه المجازفات: لملك له ألف رأس في كل رأس ألف وجه:

إعداد د. علي حشيش

أ- عدد الوجوه التي في الرؤوس تساوي= (١٠٠٠) × (١٠٠٠)= مليون وجه، وبما أن في كل وجه ألف فم، إذن عدد الأفواه التي في الوجوه= (١٠٠٠) × مليون= مليار فم، وبما أن في كل فم ألف لسان، إذن عدد الألسنة التي في الأفواه= مليار × ألف= ترليون لسان.

٤-انظر إلى ملك واحد جعلوا له من الألسنة (ترليون) لسان، أي ألف مليار لسان؛ أي أضعاف ألسنة من على الكرة الأرضية من البشر جميعًا.

وإن تعجب فعجب أن هـؤلاء الوضاعين لم يكتفوا عند هـذا الحد من المجـازفات التي نسبوها إلى النبي صلى الله عليه وسلم والتي بلغت ألف مليار لسان، بل من إفكهم ليقولون: «هـذا الملك يسبح الله تعالى بكل لسان بألف لغة». إذن عدد اللغات التي يسبح بها الملك بكل لسان تساوي (ترليون لسان) × (١٠٠٠) لغة= ألف ترليون لغة.

٥- ولسائل أن يسأل ما سبب هذه المجازفات؟

والإجابة عن هذا السؤال أن هذه المجازفات وضعها الطرقية والزهاد لصلوات ابتدعوها ولأذكار اختلقوها مثل صلاة الرغائب المشهورة التي اتفق الحُفَّاظ على أنها موضوعة، والأذكار التي وضعوها في أوراد مثل هذه الأذكار الموضوعة في متن هذه القصة، وجعلوا من يقرؤها أفضل من هذا الملك الذي إذا سبح الله سبحه بألف مليار لسان أي أضعاف سكان العالم الذي يصل في هذا العام إلى (٨) مليارات منهم ما يقرب من (٢) مليار مسلم.

فوق ما عنده من لغات وصلت إلى (ألف ترليون) لغة حسب هذه المجازفات التي وضعها الطرقية والزهاد.

٦- ويبين ذلك الحافظ ابن الصلاح في مقدمته «علوم الحديث» النوع (٢١) في بيان أصناف الوضاعين فقال: «والواضعون للحديث أصناف، وأعظمهم ضررًا قوم من المنتسبين إلى الزهد وضعوا الأحاديث احتسابًا فيما زعموا، فتقبل الناس موضوعاتهم ثقة منهم بهم وركونًا إليهم، ثم نهضت جهابذة الحديث بكشف عوارها ومحو عارها، والحمد لله». اهـ.

٧- وبيَّن ذلك أيضًا الحافظ ابن حجر في «شرح النخبة» (ص٤٥) فقال: «إن بعض الكرامية، وبعض المتصوفة نقل عنهم إباحة الوضع في الترغيب والترهيب وهو خطأ من فاعله، نشأ عن جهل؛ لأن الترغيب والترهيب من جملة الأحكام الشرعية». اهـ.

قلت: ومن التحقيق سنبين أحوال الرواة ونكشف عوارهم ونمحو عارهم.

٨- وسنبين حال المروي:

قال الإمام ابن القيم في «المنار المنيف» (ص١١١) فصل (٦): «ونحن ننبه على أمور كلية، يُعرف بها كون الحديث موضوعًا»:

أول هذه الأمور: اشتمال الحديث على أمثال هذه المجازفات التي لا يقول مثلها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي كثيرة جدًّا كقوله في الحديث المكذوب:

«من قال: لا إله إلا الله: خلق الله من تلك الكلمة طائرًا له سبعون ألف لسان لكل لسان سبعون ألف لغة يستغفرون الله له».

وكذلك في الحديث: «من فعل كذا وكذا أعطي في الجنة سبعين ألف مدينة، في كل مدينة ألف قصر، في كل قصر سبعون ألف حوراء».

وأمثال هذه المجازفات الباردة التي لا يخلو حال واضعها من الكذب. اهـ.

تطبيق: والحديث الذي جاءت به هذه القصة يحتوي على مثل هذه المجازفات بل أكثر كما بينا آنفًا. فهذه المجازفات تنطبق عليه تمام الانطباق.

٩- وفي هذا رد على ادعاء المستشرقين أن المحدثين لم يعتنوا بالنقد الداخلي: حتى لا يظن من لا دراية له أن ذكر هذه الأسباب التي بها يستبين عدم صحة المتن أمر هين، ولكنه من أقوى الردود على مزاعم المستشرقين، ومنها مزاعم المستشرق «شاخت» الذي عمل أستاذًا زائرًا في الجامعة المصرية بالقاهرة عام (١٩٣٠م)، ثم عاد إليها في سنة (١٩٣٤م)، ومن مزاعمه ما ادعاه- جهلًا وبهتانًا- «بأن المحدثين اعتنوا بالنقد الخارجي أي من ناحية الرواة، ولم يعتنوا بالنقد الداخلي وهو نقد المتن». اهـ.

قلت: وما ادعى ذلك إلا من جهله حتى بتعريف علم الحديث دراية: حيث قال السيوطي في «ألفيته»:

علم الحديث ذو قوانين تحد
يُدرى بها أحوال متن وسند

بل ولا يدري كُتب الأئمة التي نقدت المتون، ونبهت على أمور يعرف بها كون الحديث لا يصلح منها ما ذكرناه آنفًا من كتاب الإمام ابن القيم. وبيان حال المروي وهو المتن وما احتوى

عليه من مجازفات.

وهذا هو التخريج والتحقيق:

ثانيا: المتن:

روي عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنَّ للَّه ملكًا لَهُ ألْفُ رأسٍ، فِي كُلّ رأسٍ ألْفُ وَجهٍ، فِي كُلّ وجْهٍ ألْفُ فَمٍ، فِي كُلّ فمٍ ألْفُ لسانٍ؛ يُسبّحُ اللَّهَ تَعالى بِكُلّ لسانٍ بِألْفِ لُغةٍ، فقال: يا ربّ هلْ خلقْتَ خلْقًا أعْبدَ منّي؟ قال: نعمْ، رَجُلٌ منْ بَني آدم. قال: يا رب فائذن لي أنْ أزُورَهُ، فأذنَ له. فأتى رَجُلا يَسْقي حَديقةً فسلّمَ عليْه، فقال: يا عبْدَ اللَّه، هلْ عنْدكَ مبيتُ ليْلةٍ؟ قال: نعمْ، وليالٍ. فأتى منْزلهُ فأحْضرَ الطّعامَ فقال: كُلْ. فقال والّذي خلقكَ بَشرًا ما أشْتهيه، فأكلَ ثُمَّ وضعَ رأسهُ فنام فبقيَ عنْدهُ ثلاثةَ أيّامٍ، فقال: يا رجُلُ! هلْ منْ عملٍ غيْرِ ما أرى؟ قال: لا، إلا جلْسةً أجلسها، فأقُولُ: الحمْدُ للَّه أضْعافَ جميعِ محامده وخلْقه كما ينْبغي لوجْهه وعزَّ جلالُ ربّنا، وسُبْحانَ اللَّه أضْعافَ ما سبَّحَ لهُ المُسبّحُونَ، وكما ينْبغي لكرم ربّنا، واللَّهُ أكْبرُ مثْلها. فقال الملَكُ فِي: كُلّ يومٍ كمْ؟ قال: عشْرَ مرّاتٍ. قال الملكُ بِهذا فُضّلْتَ عليَّ. اهـ.

ثالثا: التخريج:

الحديث أخرجه الإمام أبو منصور الديلمي في «مسند الفردوس» ح(٨٠٠- الغرائب الملتقطة): أخبرنا عبدوس كتابة، حدثنا محمد بن الحسين، حدثنا أحمد بن محمد بن علي بن الحسين الهمداني، حدثنا مطهر بن الهيثم، حدثنا يحيى بن زريق، حدثنا زكريا بن الحكيم، حدثنا عبد الرحمن بن مطرف، عن أبان، عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن لله ملكًا...». الحديث.

رابعا: التحقيق:

هذا الحديث: موضوع مسلسل بالعلل:

العلة الأولى: أبان قال الإمام الذهبي في «الميزان» (١/١٠/١٥): أبان بن أبي عياش الزاهد أبو إسماعيل البصري أحد الضعفاء يحمل عن أنس وغيره قال أحمد: «هو متروك الحديث». وقال يحيى بن معين: «متروك».

وقال السعدي الجوزجاني: «ساقط». وقال النسائي: «متروك».

ثم ساق ابن عدي لأبان جملة أحاديث منكرة.

وقال يزيد بن هارون: قال شعبة: «داري وحماري في المساكين صدقة إن لم يكن أبان بن أبي عياش يكذب في الحديث». اهـ.

وقال الحسن بن الفرج، عن سليمان بن حرب، عن حماد بن زيد قال جاء في أبان بن أبي عياش فقال: أحب أن تكلم شعبة أن يكف عني، قال فكلمته؛ فكف عنه أيامًا، فأتاني في الليل فقال: إنه لا يحل الكف عنه فإنه يكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم. اهـ.

قلت: هذا قول الإمام شعبة بن الحجاج الذي قال عنه الإمام الذهبي في «تذكرة الحفاظ» (١/١٩٣): «شعبة بن الحجاج الحجة الحافظ شيخ الإسلام الواسطي نزيل البصرة ومحدثها كان الثوري يقول: «شعبة أمير المؤمنين في الحديث». وقال الشافعي: لولا شعبة ما عرف الحديث بالعراق».

قلت: والإمام شعبة هو أول من فتش بالعراق عن أمر المحدثين وجانب الضعفاء والمتروكين، وصار علمًا يُقتدى به، وتبعه عليه بعده أهل العراق. كذا في «تهذيب الكمال» (٨/٣٤٤) للمزي.

وعلة أخرى: زكريا بن الحكيم قال الإمام الذهبي في «الميزان» (٢/٧٢/٢٨٧٣) زكريا بن حكيم الحبطي البصري قال علي بن المديني: هالك. وقال يحيى بن معين: «ليس حديثه بشيء». اهـ.

وعلة ثالثة: مطهر بن الهيثم قال الإمام الذهبي في «الميزان» (٤/١٢٩/٨٥٩٦): قال أبو سعيد بن يونس: «مطهر متروك الحديث».

فالسند باطل: بالكذابين، والمتروكين والساقطين والهالكين، فالحديث الذي جاءت به القصة موضوع باطل.

هذا ما وفقني الله إليه، وهو وحده من وراء القصد.

درر البحار
في بيان ضعيف الأحاديث القصار

إعداد د. علي حشيش

«من ربّى صغيرًا حتى يقول: لا إله إلا الله لم يحاسبه الله».

الحديث لا يصح: أورده الإمام السيوطي في «مخطوطة درر البحار في الأحاديث القصار» (١/٦٨) مكتبة الحرم النبوي «الحديث» رقم المخطوطة (٢١٣/١٠٧) وقال: «طس عن عائشة».

قلت: «طس» ترمز إلى «المعجم الأوسط للطبراني».

وهذا تخريج بغير تحقيق. فيتوهم من لا دراية له بالصناعة الحديثية أن الحديث صحيح وهو كما سنبين من التحقيق أنه حديث «موضوع».

فائدة: وحتى يقف القارئ الكريم على معرفة هذا المصطلح لا بد من بيان معناه الاصطلاحي: «الموضوع»: «هو الكذب المختلق المصنوع. وهو شر الضعيف وأقبحه. ويحرم روايته في أي معنى كان. سواء الأحكام، والقصص، والترغيب وغيرها إلا مقرونا ببيان وضعه. كذا في «تدريب الراوي» (١/٢٧٤) النوع (٢١) للإمام السيوطي».

وقال الحافظ ابن حجر في «شرح النخبة» (ص٤٤): «الطعن بكذب الراوي في الحديث النبوي هو «الموضوع».

وسنطبق هذا المصطلح على هذا الحديث من التخريج والتحقيق حتى يجد طالب العلم أيضا دراسة «لعلم الحديث التطبيقي».

أولا: التخريج:

الحديث أخرجه: الإمام الطبراني في «المعجم الأوسط» (٥/٤٤٤) (ح٤٨٦٢) ط. المعارف بالرياض.

قال: حدثنا عبد الكبير بن محمد الأنصاري أبو عمير من ولد أنس بن مالك، قال: حدثنا سليمان بن داود الشاذكوني قال: حدثنا عيسى بن يونس، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من ربى صغيرًا...» الحديث. ثم قال الطبراني: «لم يرو هذا الحديث عن هشام بن عروة إلا عيسى بن يونس، تفرد به سليمان بن داود». اهـ.

ثانيا: التحقيق:

علة هذا الخبر الذي جاءت به القصة: سليمان ابن داود المنقري الشاذكوني البصري:

١- في «سؤالات أبي إسحاق إبراهيم بن الجنيد للإمام يحيى بن معين» رقم (٣٦) قال: «سمعت يحيى ابن معين وذكر ابن الشاذكوني فقال: «يكذب، ويضع الحديث»». اهـ.

٢- وأخرج الإمام الحافظ ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٢/١/١١٤-١١٥) عن الإمام يحيى بن معين قال: «سليمان الشاذكوني كذاب عدو الله كان يضع الحديث». اهـ.

٣- ثم قال ابن أبي حاتم سمعت أبي يقول: «سليمان الشاذكوني: ليس بشيء، متروك الحديث، ولم يحدث عنه». اهـ.

٤- ونقل الإمام الذهبي في «الميزان» (٢/٢٠٥/٣٤٥١) قول الإمام ابن معين، والإمام أبي حاتم وأقرهما، ونقل أن الإمام النسائي قال: «ليس بثقة». ونقل أن صالح بن محمد الحافظ قال: «كان يكذب في الحديث». ونقل أن الإمام البخاري قال: «فيه نظر». اهـ.

فائدة: وهذا المصطلح «فيه نظر» عند البخاري له معناه. قال الحافظ ابن كثير في «اختصار علوم الحديث» (ص١٨): «هناك اصطلاحات لأشخاص ينبغي التوقيف عليها من ذلك أن البخاري إذا قال في الرجل: «سكتوا عنه» أو «فيه نظر» فإنه يكون في أدنى المنازل وأردئها عنده، ولكنه لطيف العبارة في التخريج. فليعلم ذلك». اهـ.

قلت: نعم علمت بالمقارنة من قول الإمام ابن معين، ومن قول الإمام أبي حاتم.

وبتطبيق أقوال هؤلاء الأئمة في الشاذكوني تم تطبيقها على مصطلح الحديث «الموضوع» تنطبق عليه تمام «الانطباق».

٥- وعلة أخرى: عبد الكبير بن محمد أبو عمير، قال الإمام الذهبي في «الميزان» (٢/٦٤٤): «عبد الكبير عن سليمان الشاذكوني متَهم بالكذب». وهذه العلة تزيد الحديث وهنًا على وهن.

ملحوظة: ومن هذا الطريق أخرجه: الخرائطي، وابن عدي، وابن النجار.

هذا ما وفقني الله إليه وهو وحده من وراء القصد.

الحلقة 5

حقائق حول عدم أحقية اليهود في أرض فلسطين

على عكس ما يدَّعي شذاذ الآفاق... نبوءات إشعياء الخمس تبشر بزوال دولة الاحتلال وتتنبأ بهلاك بني صهيون

إعداد أ.د. محمد عبد العليم الدسوقي
الأستاذ بجامعة الأزهر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فنواصل الحديث عن دحض دعوى رئيس الوزراء الإسرائيلي نتنياهو، في استشهاده -على جرائمه التي فاقت كل حد- بنبوءة لإشعياء، دلَّس فيها النتنياهو وحملها على غير وجهها، وبعد أن اتضح لنا في الحلقة الماضية ما يدل على أن ما ذكره - قبَح الله وجهه - إنما كان قبل تحول النبوة وموعود الله عن بني إسحاق ويعقوب لإخوتهم من بني إسماعيل، وذلك إنقاذا لـ(البشرية) ولـ(الكون) من الذي سبَبه لهما كفرُ وإفسادُ بني إسرائيل في الأرض، وتحقيقًا لما جاء التصريح به في سفر إشعياء نفسه في الفقرة ١١، ١٢، ١٧ من الإصحاح ٤٢، وفيه:

"لتَرفعَ البريَة ومُدُنها صـوتها الديار التي سكـنها قيدارُ؛ لتَترنَّمْ سُكانُ سالع من رؤوس الجبال ليهتفوا. ليُعطوا الرَب مجدا ويُخْبرُوا بتسبيحه في الجزائر، الرَبُّ كالجبار يَخرجُ كرجل حروب يُنْهض غيْرته، يهْتف ويَصرُخُ ويقْوى على أعدائه.... يَخْزي خزيًا المتكلون على المنحوتات، القائلون للمسبوكات أنتنَّ آلهتُنا"، والذي لا ينطبق إلا على محمد عليه السلام وأمته، ومن ثم فإنه لا صحة لما استدل به هذا النتنياهو على دعواه، كونُ ما صرَّح به لا يمثل واقعه ولا يُصدَق دعواه ولو بمثقال ذرة.

أقول: إنه على إثر كل ذلك، فإن ثمة ست نبوءات أخرى، فقط في سفر إشعياء؛ تؤكد ما سبق تقريره، وتبشر بمولد وبعثة رسولِ يغلق صفحة اليهود -بعد أن فعلوا على حدّ ما جاء في أسفارهم: كلَّ ما يغيظ الربَّ وعاثوا في الأرض فسادًا- إلى الأبد، ويهدي للحق وللدين الذي بُعث به، وأنه ليس سوى محمد صلى الله عليه وسلم، ومن ثم تتضمن تكذيب الصهاينة في ادعاء أحقيتهم الدينية في أرض فلسطين، وأن ما يستدلون به من أسفارهم إنما كان في زمن إشعياء وما تلاه؛ وقبل تحول النبوة وموعود الله عنهم لبني إسماعيل.

جميع نبوءات إشعياء تبشر بزوال دولة إسرائيل وتتنبأ بهلاك اليهود:

النبوءة الأولى:

جاءت في الإصحاح ٢١ الفقرة من ٦: ٩ وفيها قوله: "لأنه هكذا قال لي السيد، اذهب أقم الحارسَ ليُخبرَ بما يَرى. فرأى ركَابًا أزواجَ فُرسان، رُكَابَ حَمير ركابَ جمال، فأصغى إصغاء شديدًا. ثم صَرخ كأسد: أيَهُا السيدُ أنا قائمٌ على المَرصَد دائمًا في النهار، وأنا

واقفٌ على المَحْرَس كلَّ الليالي. وهو ذا رُكّابٌ من الرجال، أزواجٌ من الفرسان. فأجاب وقال: (سقطتْ سقطت بابل، وجميعُ تماثيل آلهتها المنحوتة كسَّرها إلى الأرض).

إذ في هذا القول تنبؤ ببعثة نبيَّيْن رسولَين، أحدهما: يدخل مدينته راكبًا حمارًا، والآخر: يدخلها على جمل. وقد دخل المسيح عليه السلام أورشليم على حمار، و"حينئذ أرسل يسوع تلميذين. قائلًا لهما: اذهبا إلى القرية التي أمامكما. فللوقت تجدان أتانًا مربوطة وجحشًا معها. فحُلّاهما وأْتِياني بهما. وإن قال لكما أحدٌ شيئًا فقولا: الرب محتاج إليهما. فللوقت يرسلهما. فكان هذا كله لكي يتم ما قيل بالنبي القائل. قولوا لابنة صهيون هو ذا ملكك يأتيك وديعًا راكبًا على أتان وجحش ابن أتان" (كذا في إنجيل متى: الإصحاح ٢١ من ١ إلى ٥).

وعلى نحو من ذلك، دخل محمد عليه الصلاة والسلام يثرب على (ناقته القصواء)، وبدعوته تحطمت الأصنام والتماثيل التي كانت تعبد من دون الله، فيكون الرسولان اللذان تنبأ إشعياء بهما، هما: (المسيح عيسى ابن مريم) و(محمد) عليهما الصلاة والسلام.

النبوءة الثانية:

وقد جاءت في ٢١ الفقرة من ١٣: ١٧، وفيها قول إشعياء: "في الوعْر في بلاد العرب تبيتين يا قوافل الددانيين. هاتوا ماءً لملاقاة العطشان يا سكان أرض تيماء، وافوا الهاربَ بخبزه. فإنهم من أمام السيف قد هربوا، من أمام السيف المسلول ومن أمام القوس المشدودة ومن أمام شدة الحرب. فإنه هكذا قال لي السيد في مدة سنة كسنة الأجير يفني كل مجد قيدار. وبقية عدد قسيّ أبطال بني قيدار تقل؛ لأن الرب إله إسرائيل قد تكلم".

فإن ما جاء في هذا النص هو تنبؤ بهجرة الرسول صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة المنورة، فالددانيون الذين ورد ذكرهم، هم المنتسبون إلى (دادان)، وهو: أحد أجداد قريش من نسل إسماعيل عليه السلام، و(الوعْر من بلاد العرب)، هو: الطريق الذي بين مكة والمدينة المنورة، ومن خلاله غادر المهاجرون أرضهم فرارًا بدينهم وبعقيدتهم وأنفسهم هربًا من ظلم أعدائهم.

وقد تضمنت النبوءة وعدًا بانتصار أتباع هذا النبي المُتنبأ به؛ وفناءَ المجد الظالم الذي كان يظلل أبناء قيدار، وهم كفار قريش المنحدرون من (قيدار بن بنايوت بن إسماعيل عليه السلام)، كما تضمنت الإخبارَ عن نقصان عدد فرسان الكفار بعد سنة من الهجرة أو أكثر، وذلك لتشبيه هذه السَنة بسَنة الأجير التي يشعر بطولها لما يناله خلالها من مشقة، وقد تحقق هذا إذ قلّ عدد فرسان كفار مكة وأبطالهم بعد أن آمن كثيرون منهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وعبدوا الإله الواحد الحق الذي هو إله بني إسرائيل. وكان هذا هو قول الله تعالى.

النبوءة الثالثة:

وقد جاءت في الإصحاح ٤٢ الفقرة من ٦: ١١، وفيها ما نصه: "أنا الربُّ قد دعوتُك بالبرِّ فأمسكُ بيدك وأحفظك وأجعلك عهدًا للشعب ونورًا للأمم. لتفتح عيونَ العُمي؛ لتُخرج من الحبس المأسورين من بيت السجن الجالسين في الظلمة. أنا الرب هذا اسمي ومجدي لا أعطيه لآخر ولا تسبيحي للمنحوتات. هو ذا الأوّليّات قد أتت، والحديثات أنا مخبرٌ بها. قبل أن تنْبُتَ أنا أعلمكم بها. غنّوا للرب تسبيحة جديدة من أقصي الأرض، أيها المنحدرون في البحر وملؤه، والجزائرُ وسكّانها. لترفع البريةُ ومدنها صوتها الديار التي سكنها قيدار.." إلى آخر ما سبق ذكره.

وانما عنى بـ(التسبيحة الجديدة) – وعلى حد ما جاء في إظهار الحق لرحمة الله الهندي ٤/ ١١٥٧ –: الأذان و"العبادة على النهج الجديد التي هي في الشريعة المحمدية، وتعميمها على سكان أقاصي الأرض وأهل الجزائر وأهل المدن والبراري، إشارة إلى عموم نبوته صلى الله عليه وسلم، ولفظ (قيدار) أقوى إشارة إليه؛ لأنه عليه السلام من أولاد

قيدار بن إسماعيل" ا.هـ. وهي نبوءة كاشفة، ناهيك عن باقي النبوءة .

النبوءة الرابعة:

وهي في ذات السفر بالإصحاح ٥٤ من الفقرة ١ إلى الفقرة ١٧؛ وفيها: "ترنمي أيتها العاقر التي لم تلد، أشيدي بالترنم أيتها التي لم تمخض لأن بني المستوحشة أكثر من بني ذات البعل قال الرب. أوسعي مكان خيمتك ولتبسط شقق مساكنك، لا تمسكي، أطيلي أطنابك وشددي أوتادك. لأنك تمتدين إلى اليمين والى اليسار، ويرث نسلك أمما ويعمر مدنا خربة. لا تخافي لأنك لا تخزين ولا تخجلي لأنك لا تستحين، فإنك تنسين خزي صباك، وعار ترملك لا تذكرينه بعد.. أيتها الذليلة المضطربة غير المتعزية، هاأنذا أبني بالإثمد حجارتك، وبالياقوت الأزرق أؤسسك. واجعل شرفك ياقوتا وأبوابك حجارة بهرمانية، وكل تخومك حجارة كريمة. وكل بنيك تلاميذ الرب، وسلام بنيك كثيرا. بالبر تثبتين بعيدة عن الظلم فلا تخافين. وعن الارتعاب فلا يدنو منك. ها إنهم يجتمعون اجتماعا ليس من عندي، من اجتمع عليك فإليك يسقط. هاأنذا قد خلقت الحداد الذي ينفخ الفحم في النار ويخرج آلة لعمله، وأنا خلقت المهلك ليخرب. كل آلة صورت ضدك لا تنجح، وكل لسان يقوم عليك في القضاء تحكمين عليه، هذا هو ميراث عبيد الرب وبرهم من عندي يقول الرب".

فالمراد بـ(العاقر) هنا: مكة المعظمة، لأنها لم يظهر فيها نبيٌّ بعد إسماعيل عليه السلام، ولم ينزل فيها وحي، بخلاف (أورشليم)، و(بنو المستوحشة) هم أولاد هاجر التي هجرها زوجها، وهم: إسماعيل ونسله من العرب العدنانيون فهم - في النبوءة - أبناء المستوحشة الذين ذكرتهم النبوءة بأنهم يصيرون أكثر من بني (ذات البعل) - وهي سارة التي بقي معها إبراهيم عليه السلام - ويصيرون أكثر من أبنائها بني إسرائيل، فكان أن "حصلت الفضيلة لأهل هاجر، ووفى الله بما وعد بأن بعث محمدا - رسولا أفضل البشر خاتم النبيين - من أهلها في أولاد هاجر، وهو المراد بـ(الصائغ الذي ينفخ في النار جمرا)، وهو القتول الذي خلق إهلاك المشركين" كذا في إظهار الحق.

ما يعني: أن وصف مكة بـ(العاقر) قد جاء في مقارنة مستترة بالقدس أو أورشليم التي أنجبت الأنبياء، وقد بشرت النبوءة (مكة أو العاقر) بأنها تمتد يمينا وشمالا، وبأن أبناءها سيرثون أمما ويعمرون مدنا خربة، وذلك فى بشارة بانتشار الدين الذي تبدأ دعوته في مكة لتنتشر في أنحاء العالم، فتعمر به النفوس الخربة بجهالة الكفر والشرك، ويبقى هذا التعظيم لـ(مكة) إلى آخر الدهر كما وعد الله بقوله: "لا تخافي لأنك لا تخزين ولا تخجلي، لأنك لا تستحين"، وبقوله بعدها: "بمراحم عظيمة سأجمعك. بفيضان الغضب حجبت وجهي عنك لحظة، وبإحسان أبدي أرحمك"، إلى آخر ما جاء بالنبوءة.

النبوءة الخامسة:

وهي في الإصحاح ٦٥ من الفقرة ١ إلى ٧ وفيها ما نصه: "أصغيت الى الذين لم يسألوا، وجدت من الذين لم يطلبوني، قلت هاأنذا هاأنذا لأمة لم تسم باسمي. بسطت يدي طول النهار إلى شعب متمرد سائر في طريق غير صالح وراء أفكاره. شعب يغيظني بوجهي، دائما يذبح في الجنات ويبخر على الآجر. يجلس في القبور ويبيت في المدافن، يأكل لحم الخنزير وفي آنيته مرق لحوم نجسة. يقول: قف عندك، لا تدن مني لأني أقدس منك. هؤلاء دخان في أنفي، نار متقدة كل النهار. ها قد كتب أمامي، لا أسكت بل أجازي، أجازي في حضنهم. آثامكم وآثام آبائكم معا. قال الرب: الذين بخروا على الجبال وعيروني على الآكام: فأكيل عملهم الأول في حضنهم".

يقول رحمة الله الهندي في تفسير ذلك: "المراد بـ(الذين لم يسألوا) و(الذين لم يطلبوني): العرب، لأنه كانوا غير عارفين

بالله وصفاته وشرائعه، فما كانوا سائلين عن الله وطالبين له، كما قال تعالى: «لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ» (آل عمران: ١٦٤)، والوصف المذكور في الآية الثانية والثالثة والسابعة يصدق على كل واحد من اليهود والنصارى، والأوصاف المذكورة في الآية الرابعة ألصق بحال النصارى، كما أن الوصف المذكور في الخامسة ألصق بحال اليهود، فردهم الباري واختار الأمة المحمدية" ا.هـ من إظهار الحق ٤/١١٦٥، ١١٦٦ بتصرف.

النبوءة السادسة وبها حسن الختام:

وفيها بالإصحاح ٦٠: ١-٩ مخاطبًا مكة مهبط الوحي المحمدي، والبديلة عن أورشليم الغارقة في الفساد والإفساد:

"قومي استنيري لأنه قد جاء نورك، ومجدُ الرب أشرق عليك. لأنه ها هي الظلمة تغطي الأرض، والظلامُ الدامسُ - يغطي - الأمم، أمّا عليك فيُشرقُ الربُ؛ ومجدُه عليك يُرى. فتسيرُ الأممُ في نورك والملوك في ضياء إشراقك. ارفعي عينيك حواليك وانظري، قد اجتمعوا كلهم، جاءوا إليك، يأتي بَنوك من بعيد؛ وتُحمل بناتك على الأيدي. حينئذ تنظرين وتنيرين ويخفق قلبك ويتسعُ، لأنه تتحول إليك ثروة البحر ويأتي إليك غنى الأمم. تغطيك كثرة الجمال بُكران مديان وعيفة، كلها تأتي من شبا؛ تحمل ذهبًا ولُبانا وتُبشِّر بتسابيح الربِّ. كل غنم قيدار تجتمعُ إليك، كباش نبايوت تخدُمك، تصعدُ مقبولة على مذبحي وأزين بيْت جمالي. من هؤلاء الطائرون كسحاب وكالحمام إلى بُيوتها. إن الجزائر تنتظرني وسفن ترشيش في الأول، لتأتي ببنيك من بعيد؛ وفضتهم وذهبهم معهم لاسم الرب إلهك وقدوس إسرائيل لأنه قد مجدك".

وكما ترى!، فليس هناك وصف أدق ولا أوضح لحال مكة المكرمة والكعبة المشرفة حرمًا آمنا يُجبى إليه ثمرات كل شيء وقت أداء المسلمين فريضة الحج، من هذا الوصف الذي ذكره أشعياء عام واحد وسبعمائة قبل الميلاد، وهو وصف لحالها منذ أظهر الله دينه إلى اليوم والى آخر الزمان، حيث يُلبي المؤمنون الدعوة بالحج فيملأ أركانها النور-وليس مثل نور الإيمان- يمجدون الله، ومنهم الملوك والرؤساء يتساوون ورعاياهم لا يستنيرون إلا بنور الله واشراقة الإيمان، بينا يخيم ظلام الشرك والفكر المادي على دول العالم من حولهم.

هكذا تسدل كل هذه النبوءات -التي ورد ذكرها في واحد فقط من أسفار اليهود هو سفر إشعياء- الستار عن مستقبل دولة الاحتلال، وتقضي على حلمهم في إقامة دولتهم المزعومة من النيل إلى الفرات، وتكشف عن سر وسبب ذلك، لحين وقت الحساب في الآخرة.

بل وفي الدنيا مع قول الله تعالى: «وإذ تأذن ربك ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب إن ربك لسريع الحساب» (الأعراف: ١٦٧)، وقوله: «وقطعناهم في الأرض أممًا» (الأعراف: ١٦٨)، وقوله: «فإذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفا» (الإسراء: ١٠٤)، وقوله: «فإذا جاء وعد الآخرة ليسوؤوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا» (الإسراء: ٧)، وقوله صلى الله عليه وسلم: (لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود، فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر والشجر: يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله، إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود). (مسلم:٢٩٢٢)

وهل ثمة شهادة من اليهود أنفسهم بصدق وعد الله للمؤمنين ووعيده لمعشر يهود - على نحو ما ذُكر - أعظم من: إكثارهم من زراعة هذا النوع من الشجر استعدادًا منهم لهذا اليوم الموعود، وإن غدًا لناظره قريب.

والى لقاء، يتابع بمشيئة الله تعالى.

البيئة التربوية وأهميتها في حياة الأبناء

إعداد **الشيخ/ عادل شوشة**
فرع المنصورة

مما لا شك فيه أن البيئة التي يتربى فيها الطفل لها عامل كبير ومؤثر في سلوكه وأخلاقه، ولذا جاءت السنة النبوية تؤكد هذا المعنى:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ الْفَخْرُ وَالْخُيَلَاءُ فِي الْفَدَّادِينَ أَهْلِ الْوَبَرِ وَالسَّكِينَةُ فِي أَهْلِ الْغَنَمِ وَالْإِيمَانُ يَمَانٍ وَالْحِكْمَةُ يَمَانِيَةٌ. (البخاري (٣٤٩٩)).

وعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ قَالَ: وأَشَارَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِهِ نَحْوَ الْيَمَنِ الْإِيمَانُ هَا هُنَا مَرَّتَيْنِ أَلَا وَإِنَّ الْقَسْوَةَ وَغِلَظَ الْقُلُوبِ فِي الْفَدَّادِينَ حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنَا الشَّيْطَانِ رَبِيعَةَ وَمُضَرَ. (البخاري(٣٣٠٢)).

فلذا كان واجبا على المربي أن يهيئ البيئة المناسبة لتربية الطفل ومما يساعد على ذلك:

١ - الحرص على اختيار الحي والجيران:

وذلك أن الإنسان يتأثر ببيئته خاصة المرأة والأطفال، فهم يتأثرون بأقربائهم وجيرانهم ومن يحتكون بهم، والأحياء تختلف، فحي يغلب على سكانه المحافظة والقيام بالشعائر التعبدية الظاهرة، تكثر فيه المساجد وتظهر فيه أعمال الخير، وأحياء دون ذلك، لذا فالحريص على تنشئة أبنائه النشأة الصالحة يحرص على اختيار الحي والجيران كما يحرص على اختيار الأم، ليهيئ البيئة الصالحة التي تعينه على تربية أبنائه. وقديما قيل: (الجار قبل الدار).

قال الإمام ابن كثير في تفسيره لقوله تعالى عن امرأة فرعون: «رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ» (التحريم: ١١) قال العُلماءُ: اخْتارت الجارَ قبْلَ الدار. وقَدْ ورد شَيْءٌ منْ ذلك في حَديث مَرْفوع. (تفسير ابن كثير: ٨/١٧٢).

فللجار أهمية كبرى قد لا يأبه لذلك كثير من الناس، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَرْبَعٌ من السَّعادَةِ: المرْأةُ الصَّالِحةُ، والمَسْكَنُ الواسِعُ، والجارُ الصَّالِحُ، والمَرْكَبُ الهَنِيءُ، وأَرْبَعٌ مِنَ الشَّقاوَةِ: الجارُ السُّوءُ،

وَالمَرْأَةُ السُّوءُ، وَالمَسْكَنُ الضَّيِّقُ، وَالمَرْكَبُ السُّوءُ. (ابـن حبـان في "صـحيحه" (٤٠٣٢)، صـحيح الجامع، برقم ٨٨٧)

وقد تعوذ من جار السـوء، قَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْـه وَسَـلَّمَ: اللَّهُـمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِـكَ مِنْ جَارِ سُـوءٍ فِي دَارِ المُقَامَةِ، فَإِنَّ جَـارَ البَادِيَةِ يَتَحَوَّلُ.. (حسـن: ابـن أبـي شـيبة (٢٥٩٣٠)، "صـحيح الجامع").

٢- قرب السكن من المسجد:

مـن المهـم جـدا أن يكـون السـكن بعيـدا عـن أماكن المنكر قريبا قدر المستطاع من المسجد، والأفضـل أن يكـون المسـجد جامعـا، وان كان السكن البعيد عن المسجد أفضل من حيث كثرة الخطـا، ولكـن قد تربو هذه المصلحة مصـالح أكثر منها، ومن القواعد الشرعية مراعاة أعلى المصلحتين. (انظر: كتاب تربية الأبناء مراحل عمريـة وخطوات عمليـة إعداد عبـد الله بن سعد الفالح)

من مصالح قرب السكن من المسجد:

ذهـاب الأطفـال المميزيـن للمسـجد في حـال غيبة أبيهم أو سفره، خاصة في صلاة الفجر.

ب- ذهابهم إلى حلقات القرآن المقامة في المسجد دون الحاجـة إلـى مـن يذهـب بهـم، لأنهـم إذا احتاجوا إلى من يذهب بهم فإنهم سـيتأخرون كثيرا عن الحلقات، وذلك لعدم تيسر من يداوم على الذهاب بهم إلا ما ندر.

جـ- سماع الأهل للمواعظ والدروس التي تلقى في المسـجد عبر المكبر، وكذا سماعهم للخطبة إن كان جامعا.

د- حضور النساء إلى المسجد في رمضان لصلاة التراويـح وحضـور المحاضـرات وحلـق القـرآن النسائيـة.

هـ- سماع المؤذن ومتابعته.

٣- حث الأولاد على اختيار الأصدقاء الصالحين وتحذيرهم من أصدقاء السوء:

مفهـوم (الصـداقـة) مـن المفاهيـم التـي تثـير الكثـير مـن الأسـئلة عنـد الأطفـال في وقـت مبكـر، وهو إلى جانب ذلك مفهـوم مهم للغاية، لأن الإنسـان لا يسـتغني عـن وجود أصـدقاء جيديـن، والأطفـال أشـد حاجة إلـى ذلك من الكبـار، حيـث إن من الملاحـظ أن تعلـق الطفل بأصـدقائه تعلق كبير جدا، وهـم يؤثرون فيه تأثيرا كبيرا. فمن هو الصـديق؟ الصـديق في لغة العرب: هو ذلك الصاحب الصادق في مودته ومحبته، إنه ذلك الذي يشـتاق إليك، إذا غبت عنه، وذاك الذي يملك القدرة على أن يضـحي بشـيء من وقته وماله وجهده مـن أجلك، وانه ذلك الذي يرجو لك الخير، فلا يحسـدك على نعمة تصيبها، كما أنه لا يشمت بك إن أصابتك مصـيبة، وهذه الصـفات الجميلة حـين تتوفر لـدى شـخص، فإنها تـدل على نيلـه درجة من النبل وكـرم النفسـ، لكن توفرها يكـون دائما متفاوتـا في أصـدقائنا، لذلـك يمكـن أن نقول: إن الأصـدقاء درجـات، والأصـدقاء الممتازون، لا يكونـون في العادة كثيريـن، وإذا ظفر أحدنا بثلاثـة أو أربعـة من الأصـحاب الذيـن تتوفر فيهـم الصـفات التـي ذكرناهـا، فذلـك فضـل كبير مـن الله تعالـى. (تأسـيس عقلية الطفل ص١٤٩).

لذا يجب على الآباء حـث أبنائهم على اختيار الرفقة الصـالحة، فهـذا من أهـم الواجبات في رحلـة التربيـة فيبينـوا لهـم المنافـع في الدنيا والآخـرة مـن وراء الجليسـ الصـالح، ويبينـوا لهم كيف حث الإسـلام على صحبة الصالحين والأخيـار وحـذر مـن صـحبة الأشـرار، قـال تعالـى: « الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِـذٍ بَعْضُـهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِـينَ» (الزخرف: ٦٧) وقـال تعالى مبينا آثـار الصـحبة السـيئة: « وَمَـنْ يَعْشُ عَـنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَـيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ (٣٦) وَإِنَّهُمْ لَيَصُـدُّونَهُمْ عَنِ السَّـبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَـدُونَ (٣٧) حَتَّى إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَـكَ بُعْـدَ الْمَشْـرِقَيْنِ فَبِئْـسَ الْقَرِيـنُ (٣٨)» (الزخرف:٣٦- ٣٩)

وعَنْ أَبِي مُوسَـى قَالَ: قَالَ رَسُـولُ اللَّه صلى الله عليه وسـلم:« مَثَلُ الجَلِيسِـ الصَّـالِحِ وَالجَلِيسِ السَّـوْءِ كَمَثَلِ صَـاحِبِ المِسْـكِ، وَكِيرِ الحَدَّادِ، لاَ يَعْدَمُكَ مِنْ صَـاحِبِ المِسْكِ إِمَّا تَشْتَرِيهِ، أَوْ تَجِدُ رِيحَـهُ، وَكِيرُ الحَدَّادِ يُحْـرِقُ بَدَنَـكَ أَوْ ثَوْبَكَ أَوْ تَجِدُ مِنْهُ رِيحًا خَبِيثَةً » . (البخاري (٢١٠١)).

٤- الحرص على اختيار المعلم الصالح:

فالمعلـم أو المربـي يعد حجر الزاويـة في عملية التعليـم، وإذا مـا نظرنـا إلـى بعضـ واجباتـه

التي يقوم بها علمنا مكانته من العملية التربوية:

١- فالمعلم مصدر أساسي يستمد منه التلميذ معلوماته الدراسية وخبراته الثقافية.

٢- المعلم يبتكر ويجدد في طرق التدريس وينقد المنهج ويكيفه ويقومه.

٣- المعلم رائد التلاميذ وقدوة حسنة لهم في أقواله وتصرفاته وسمته.

٤- المعلم أب عطوف بر بتلاميذه يعطف عليهم عطفاً مقروناً بحزم، يعلمهم كيف يحترمون الناس وكيف يحترم بعضهم البعض.

٥- المعلم يعمل على توثيق الصلة بين المدرسة والمنزل والمجتمع وهو إلى جانب ذلك رائد اجتماعي. (انظر: عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم من خلال المدارس الخاصة بالقرآن الكريم والكليات الجامعية للقرآن وعلومه (ص: ٣٣)).

ولذا فقد كان السلف يحرصون أشد الحرص على اختيار المعلمين الصالحين لأبنائهم، فها هو عمر بن عبد العزيز يختار معلم أولاده من خاصته ومواليه وعلى علم به وثقة فيه، ولم يكتف عمر بمولاه سهل لتأديبهم وتعليمهم بل عهد بتأديبهم أيضاً إلى أستاذه ومؤدبه الأول صالح بن كيسان. (تذكرة الحفاظ (١/١٤٨))

ولم يقف حرص عمر رحمه الله على تعليم أولاده وأدبهم عند هذا الحد، بل وجدناه يختار من كبار عصره من يختبر عقل أولاده وأدبهم، فقد كلف ميمون بن مهران أن يأتي ابنه عبد الملك فيستشيره وينظر إلى عقله. قال ميمون: فأتيناه- يعني عبد الملك بن عمر- فاستأذنت عليه فقعدت عنده ساعة، فأعجبت به. (سيرة ومناقب عمر بن العزيز لابن الجوزي ص٣٠٢)

ومما يتعلق باختيار المعلم الصالح اختيار المدرسة والجامعة التي يدرس فيها أبناؤنا.

٥- اختيار الخادمات الصالحات:

في البيوت التي فيها الخدم، يجدر بالأب، بل ويجب عليه إن أتى بخادمة للبيت أن يأتي بها خادمة تعرف ربها وتوقر نبيها صلى الله عليه وسلم وتقيم حدود الله، فإنها في البيت بمنزلة الأم للأطفال ويقتبس الأبناء من سلوكها ومن أخلاقها ومن ثقافتها، ثم هي جليس، إما جليس صالح كحامل المسك أو جليس سوء كنافخ الكير الذي يحرق الثياب.

ثم ليحذر الأب من الخلوة بها وكذلك الأبناء الذكور البالغون فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إيَّاكُمْ والدُّخولَ علَى النِّساءِ. فقال رجُلٌ من الأنْصارِ: يا رَسُولَ اللَّه، أفرأيْتَ الحمْوَ؟ قال: الحمْوُ الموْتُ. (البخاري (٥٢٣٢))

وعن ابن عبَّاس عن النَّبيِّ صلَّى الله عليْه وسلَّم قال: لا يخْلُوَنَّ رجُلٌ بامْرأةٍ إلاَّ مع ذي محْرمٍ. (رواه البخاري: ٥٢٣٣).

٦- احذر مفاسد وسائل الإعلام:

أما وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة فخطرها في كثير من البلدان عظيم، وضررها جسيم، وكم من خلق قد ساء بسببها، وكم من فاحشة قد ارتكبت بسببها

فلابد أن يتفقد الأب أحوال أبنائه معها؛ فهي وسائل قد غزت كل البيوت، والاحتراز عنها من أصعب ما يكون إلا على من يسره الله عليه.

وشأنها شأن الجليس إما أنها جليس صالح أو جليس سوء فإن كانت داعية إلى الخير والمعروف لا تطرد معها الملائكة بل تقبل إليها وتحفها، والخير من ورائها عميم فنعما هي إن كان يستمع فيها إلى القرآن وتفسيره وإلى الحديث وفقهه وأصوله فهي خير للمستمعين إن كان يبث فيها ما هو نافع في الدنيا والآخرة فالحمد لله ولنقبل عليها حينئذ ما لم تنتهك فيها محرمات، وإن كان دون ذلك فالله لا يحب الفساد ولا ضرر ولا ضرار.

والحمد لله رب العالمين.

الزكاة
الزكـ

مقدار زكاة الفطر وأجناسها ووقت إخراجها

إعداد
د. أيمن خليل

الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على خاتم المرسلين؛ وبعد،

فإن زكاة الفطر واجبة بالسنة والإجماع؛ لحديث أبي سعيد الخدري قال: كنا نخرج إذ كان فينا رسول الله e زكاة الفطر عن كل صغير، وكبير حر، أو مملوك صاعًا من طعام، أو صاعًا من أقط، أو صاعًا من شعير، أو صاعًا من تمر، أو صاعًا من زبيب (متفق عليه).

ولحديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: «فرض رسول الله e زكاة الفطر، صاعًا من تمر أو صاعًا من شعير، على العبد والحر، والذكر والأنثى، والصغير والكبير من المسلمين، وأمر بها أن تُؤدَّى قبل خروج الناس إلى الصلاة" (متفق عليه). ونقل ابن المنذر في كتابه الإجماع «إجماع الفقهاء على أن صدقة الفطر فرض».

مقدار زكاة الفطر:

ذهب المالكية والشافعية والحنابلة، إلى أن الواجب إخراجه في زكاة الفطر هو صاع من كل صنف، واستدلوا بحديث أبي سَعيد الْخُدْرِيِّ السابق وفيه: «صاعًا منْ طعَام أوْ صاعًا منْ أقط أوْ صاعًا منْ شعير أوْ صاعًا منْ تمْر أوْ صاعًا منَ زَبيب....». ولأن الأشياء التي ثبت ذكرها في حديث أبي سعيد لما كانت متساوية في مقدار ما يخرج منها مع ما يخالفها في القيمة دل على أن المراد إخراج هذا المقدار من أيِّ جنس كان. وذهب أبو حنيفة وابن تيمية وابن القيم، إلى أن الواجب إخراجه في زكاة الفطر هو صاع من كل صنف، إلا في البر (الحنطة) فيجزئ نصف صاع.

الأجناس التي تخرج منها زكاة الفطر:

ذهب الحنفية إلى أن زكاة الفطر تخرج من أربعة أشياء: الحنطة والشعير والتمر والزبيب، أو قيمتها دراهم، وذهب المالكية إلى أن زكاة الفطر تخرج من غالب قوت البلد، ولكن

اقتصر المالكية على المعشرات (هي الأموال التي يجب فيها العُشر أو نصف العشر في الزكاة، وهي الخارج من الأرض من الحبوب والثمار، وهي تسعة أصناف فقط وهي: القمح، والشعير، والزبيب، والسلت، والتمر، والأرز، والدخن، والذرة، والأقط، ولا يجزئ الإخراج من غيرها ويلاحظ أن الأقط ليس من المعشرات، ولكن نص عليه المالكية لوروده في حديث أبي سعيد الخدري)، فيتعين الإخراج مما غلب الاقتيات منه من هذه الأصناف. وذهب الشافعية إلى أن زكاة الفطر تخرج من غالب قوت البلد، فلا تقتصر على ما ورد النص عليه في الحديث (الشعير والتمر والزبيب والقمح) بل تخرج من الأرز والذرة والعدس ونحوه مما يُعتبر قوتًا.

وذهب الحنابلة إلى أن زكاة الفطر تخرج من الأصناف التي وردت بحديث أبي سعيد الخدري، فتخرج من البر، أو التمر، أو الزبيب، أو الشعير، أو الأقط، ويُخيَّر بين هذه الأشياء؛ لأنها جاءت منصوصًا عليها في الحديث، فلا يجوز العدول عن هذه الأصناف مع القدرة عليها، سواء كان المعدول إليه قوت بلده أو لم يكن.

ونرى عدم جواز إخراجها من المكرونة كما يذهب لذلك بعض المتأخرين؛ لأنها ليست من الأصناف التي نص عليها الفقهاء، ولأنها مصنَّعة لم تُعرف إلا حديثًا، ولو فُتح هذا الباب لجاز إخراجها من الخبز والشطائر والمخبوزات، وربما لظهر من يدعو لإخراجها من الساندوتشات (الفول والطعمية) والكشري، وهذا ما لم يقل به أهل العلم مطلقًا.

حكم إخراج القيمة في زكاة الفطر

ذهب جمهور الفقهاء من المالكية والشافعية والحنابلة: إلى وجوب إخراج زكاة الفطر عينًا، وأنه لا يجزئ إخراج القيمة في زكاة الفطر، ولكن ذهب الحنفية، وهو رواية عن أحمد، وبه قال الثوري وعمر بن عبد العزيز والحسن البصري، وهو الظاهر من مذهب البخاري: إلى أنه يجوز إخراج القيمة، دراهم أو دنانير، ويرى الحنفية أن إخراج القيمة أفضل لقضاء حاجة الفقير، إن كان الزمن زمن خصب، وإن كان زمن شدة فالحنطة والشعير وما يُؤكل أفضل من الدراهم.

وهذه المسائل الاجتهادية التي اختلف فيها الأئمة وتعددت فيها الآراء يسوغ فيها الاختلاف، ولا ينعقد عليها الولاء والبراء، وليست مجالاً للطعن والانتقاص، ومن كان يسوغ له التقليد -وأغلب الناس مقلدون- فيجوز له أن يقلد أحد المذاهب المتبوعة، المتلقاة بالقبول لدى الأمة، ولا يُنكر عليه.

وقت إخراج زكاة الفطر:

ذهب الحنفية والمالكية في قول لهم إلى أن وقت وجوب زكاة الفطر بطلوع فجر يوم العيد، واستدلوا بحديث ابن عمر السابق «... وأمر بها أن تؤدى قبل خروج الناس إلى الصلاة...». وذهب الشافعية والحنابلة، وهو أحد القولين للمالكية إلى أن الوجوب هو بغروب شمس آخر يوم من رمضان، لحديث ابن عباس «.... فمن أداها قبل الصلاة فهي زكاة مقبولة، ومن أداها بعد الصلاة فهي صدقة من الصدقات» (سنن أبي داود؛ وسنن ابن ماجه).

ويرخص في يومين قبلها لما روى ابن عمر عن الصحابة: «وكانوا يُعطون قبْل الفطر بيوْم أوْ يوْميْن» (صحيح البخاري). ويجوز إخراج زكاة الفطر يوم العيد كله (الأول من شوال) عند جمهور الفقهاء (من المالكية والشافعية والحنابلة)؛ لتضعيفهم حديث ابن عباس، وعندهم من أداها بعد يوم العيد بدون عذر كان آثمًا، ولكنه يجب عليه إخراجها لانشغال ذمته بها مع وجوب التوبة؛ وهو الراجح لأن زكاة الفطر لا تسقط بخروج وقتها؛ لأنها حق للعباد لا يسقط إلا بالأداء، أما حق الله في التأخير عن وقتها فلا يجبر إلا بالاستغفار والتوبة. ولو مات من وجبت عليه زكاة الفطر قبل أدائها، تُخرج من تركته ولا تسقط بالموت كدين الآدمي.

والله تعالى أعلم، والحمد لله رب العالمين

الثبات على الطاعة حتى الممات

إعداد الشيخ عبده أحمد الأقرع
فرع اختناواي

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وأصلي وأسلم على خاتم الأنبياء سيدنا محمد صفوة خلق الله، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم التناد.

أما بعد:

فانَّ الشهور والليالي والأعوام مقادير للآجال، ومواقيت للأعمال تنقضي حثيثاً وتمضى جميعاً، وهكذا مرَّ بنا الضيف العزيز شهر رمضان المبارك كطيف خيال، كما قال ربنا سبحانه: «أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ» (البقرة: ١٨٤) مَرَّ بخيراته وبركاته، مضى من أعمارنا وهو شاهدٌ لنا أو علينا بما أودعناه فيه، فليفتح كل واحد منا صفحة المحاسبة لنفسه: ماذا عمل فيه؟ وما مدى تأثيره على العمل والسلوك؟ وهل أخذنا بأسباب القبول بعده، واستمررنا على العمل الصالح، فإن استدامة أمر الطاعة وامتداد زمانها زاد الصالحين، وتحقيق أمل المحسنين، وليس للطاعة زمن محدود، بل هي حق لله على العباد يعمرون بها الأكوان على مر الأزمان. قرأ الحسن البصري رحمه الله قوله تعالى: «وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ» (الحجر: ٩٩) فقال: «إن الله لم يجعل لعمل المؤمن أجلاً دون الموت» (الزهد: ١٨).

وشهر رمضان كان ميدان لتنافس الصالحين، وتسابق المحسنين، يمسون بأرواحهم إلى الفضائل، ويمنعون عنها الرذائل، ويجب أن تسير النفوس على

نهج الهدى والرشاد بعد رمضان، وإن للقبول والربح في هذا الشهر علامات، وللخسارة والرد أمارات، وإن من علامة قبول الحسنة فعل الحسنة بعدها، ومن علامة السيئة: السيئة بعدها؟ فأتبعوا الحسنات بالحسنات تكن علامة على قبولها. فمن كانت حاله بعد انقضاء شهر رمضان أحسن منها قبله منيباً؛ بأن كان مقبلاً على الخير حريصًا على الطاعة، تابعاً للصيام، مواظباً على ما كان عليه في شهر رمضان من صالح الأعمال لم يترك شيئاً منها ولم يفتر عنها بل فقط ودع الشهر وهو عازم على المضي قدماً على البر والإحسان من القيام وتلاوة القرآن والجود والكرم ولين الكلام، مستقيماً مصالحاً، بعيدًا عن المعاصي والذنوب والآثام- فهذه أمارة قبول عمله، إن شاء الله، قال الله تعالى: «أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ» (الأحقاف: ١٦)، وأما من كان حاله بعد رمضان كحاله قبله، فهو- وإن أقبل على الله في هذا الشهر- سرعان ما ينكص على عقبيه، ويعود إلى المعاصي، ويهجر الطاعات، ويجترح ما حرم الله، ويضيع الصلوات، ويتبع الشهوات، فهذا علامة الخذلان وعدم قبول الأعمال، فيا عظم الحرمان أن يحورَ أناس بعد الخير إلى الشر، وبعد الهدى إلى الضلالة.

سُئل بعض السلف عن أناس يتعبدون في رمضان، فإذا انسلخ رمضان، تركوافقال: "بئس القوم! لا يعرفون الله إلا في رمضان". فيا من عرفتم الخيرَ في رمضان، كيف تزهدون فيه بعده؟ وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن في الجنة غرفاً يُرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، أعدها الله لمن ألان الكلام، وأطعم الطعام، وتابع الصيام، وصلى بالليل والناس نيام".(ابن حبان وحسنه الألباني)

ففي هذا الحديث تذكير من النبي صلى الله عليه وسلم بما ينبغي من مواصلة الحال الطيبة التي كانوا عليها في رمضان من لين الكلام والقول اللين الطيب يجب أن يكون ديدن الإنسان في جميع الأحوال في كل زمان ومكان، قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: «وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا» (البقرة: ٨٣). والكلمة الطيبة صدقة. قال عليه الصلاة والسلام: «والكلمة الطيبة صدقة». متفق عليه: البخاري (٢٩٨٩)، ومسلم (١٠٠٩). والكلمة الطيبة نجاة من النار. قال صلى الله عليه وسلم: "اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد فبكلمة طيبة». متفق عليه. (البخاري: ٦٥٣٩)، ومسلم: ١٠١٦)، وقد قال الله تعالى عن أهل الجنة: «وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ ٢٤» (الحج: ٢٤)، «وأطعم الطعام»، وإطعام الطعام من موجبات دخول الجنة في شهر رمضان وفي غيره. قال الله عن الأبرار: «وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ٨ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ٩» (الإنسان: ٨-٩)، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا أيها الناسُ: أفشوا السلام، أو أطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام). صحيح الجامع (٧٨٦٥).

وثواب إفطار الصائم في أي شهر كان. قال عليه الصلاة والسلام: «من فطر صائماً كان له مثل أجره، غير أنه لا ينقص من أجر الصائم شيئاً». صحيح الجامع (٦٤١٥)، «وتابع الصيام»، والمراد بها المحافظة على صيام الأيام التي يُشرع صيامها تطوعاً، فمن صامها بعد صيام رمضان فقد تابع الصيام، فإن انقضى صيام شهر رمضان

فإن الصيام لا يزال مشروعاً في غيره على مدار العام، ومن هذه الأيام ستة من شوال، وقد بيّن رسول الله صلى الله عليه وسلم الأجر المترتب على ذلك، فقال عليه الصلاة والسلام: "من صام رمضان، ثم أتبعه ستًا من شوال كان كصيام الدهر كله». صحيح مسلم (١١٦٤). وفي رواية: "صيام شهر رمضان بعشرة أشهر، وصيام ستة أيام بشهرين، فذلك صيام السنة» صحيح الترغيب: (١٠٠٦).

وصيام الاثنين والخميس: فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحرى صوم الاثنين والخميس». رواه الترمذي (٧٤٥)، وصحيح الترغيب (١٠٤٤).

وقال عليه الصلاة والسلام: "تُعرض الأعمال يوم الاثنين والخميس، فأحب أن يعرض عملي وأنا صائم». صحيح الجامع (٢٩٠٩).

وصوم ثلاثة أيام من كل شهر، والأفضل صومها في الأيام البيض، وهي: الثالث عشر، والرابع عشر، والخامس:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم بثلاث: صيام ثلاثة أيام من كل شهر، وركعتي الضحى، وأن أوتر قبل أن أنام". متفق عليه: البخاري: (١١٧٨)، ومسلم: (٧٢١).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «أن النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يدع صوم أيام البيض في سفر ولا حضر». صحيح الجامع رقم (٤٨٤٨).

وقال صلى الله عليه وسلم: "صوم شهر الصبر، وثلاثة أيام من كلّ شهر، يذهب وحر الصدر». صحيح الترغيب (١٠٣٢). (شهر الصبر): هو رمضان. (وحر الصدر) هو غشه وحقده ووساوسه.

وصيام أكثر شهر شعبان:

فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يصوم شهراً أكثر من شعبان، فإنه كان يصوم شعبان كله". البخاري: (١٩٧٩)، ومسلم (١١٥٦).

صوم يوم عرفة:

فعن أبي قتادة رضي الله عنه، قال سُئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صوم يوم عرفة؟ فقال: «يُكفر السنة الماضية والباقية». مسلم (١١٦٢).

وصوم يوم عاشوراء:

فعن أبي قتادة رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم. سُئل عن صوم يوم عاشوراء؟ فقال: «يُكفر السنة الماضية». مسلم (١١٦٢٦).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لئن بقيت إلى قابل لأصومن التاسع» يعني: مع العاشر. رواه مسلم (١١٣٤).

صيام العشر من ذي الحجة:

فعن هنيدة بن خالد، عن امرأته، عن بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم تسع ذي الحجة، ويوم عاشوراء، وثلاثة أيام من كل شهر». صحيح سنن أبي داود (٢٤٣٧).

ورغب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصيام في شهر الله المحرم. فقال صلى الله عليه وسلم: " أفضل الصيام، بعد رمضان: شهرُ الله المحرم، وأفضل الصّلاة بعد الفريضة صلاة الليل". مسلم (١١٦٢).

فالصيام عبادة من أجلّ العبادات، وقربة من أعظم القربات. قال ابن القيم رحمه الله: "الصومُ هو: لجامُ المتقيد، وجُنّة المحاربين، ورياضة الأبرار والمقربين، وهو لربّ العالمين من بين سائر الأعمال». زاد المعاد: (٢/٢٩)، وحسب الصائم قول الله عز وجل: كل عمل ابن آدم له، إلا الصيام، فإنه لي وأنا أجزي به» (البخاري: ١٩٠٤، ومسلم: ١١٥١).

وقول النبيّ صلى الله عليه وسلم: «ما من عبد يصوم يوما في سبيل الله، إلا باعد الله، بذلك اليوم وجهه عن النار سبعين خريفاً».

مسلم: (١٥٩/٣).

وصلى بالليل والناس نيام:

ولئن انقضى قيام رمضان فإن قيام الليل مشروع في كل ليلة من ليالي السنة، وقيام الليل عبادة من أجل العبادات، التي يرفع الله بها لعباده الدرجات، ويحط عنهم بها الخطيئات، ويبوؤنا بسببها الغرف الحسان في دار السلام.

وهو من هدي خير البشرية، فقد «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه». (صحيح الجامع: ٢٥٠٠٣).

وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدعُ قيام الليل، وكان إذا مرض أو كسل صلى قاعداً». صحيح الجامع: (٤٨٤٩).

وقيام الليل شرف المؤمن: قال صلى الله عليه وسلم: «واعلم أن شرف المؤمن قيامه بالليل». صحيح الجامع (٧٣). وهل يتخلى المؤمن عن شرفه؟

وقيام الليل فوائده لا تُحصر. وحسبنا قول نبينا في وصيته لنا عليه الصلاة والسلام: «عليكم بقيام الليل، فإنّه دأب الصالحين قبلكم، وقربة إلى الله تعالى، ومنهاةٌ عن الإثم، وتكفير للسيئات، ومطردة للداء عن الجسد». (صحيح الجامع (٤٠٧٩)).

فيا من ذاق حلاوة قيام الليل في رمضان لا تتركه في شوال، فتعنى بقول النبي صلى الله عليه وسلم: «يا عبدَ الله لا تكن مثل فلان، كان يقوم الليل فترك قيام الليل». متفق عليه. البخاري: (١١٥٢)، ومسلم: (١١٠٩).

وكيف تتركه وقد يُعطي الله لقائم الليل من الأجر ما لا يعطي على غيره، قال الله تعالى: «تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ١٦ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ١٧» (السجدة: ١٦-١٧).

قال ابن القيم رحمه الله: أخفوا العمل عن الناس فأخفى الله عنهم الأجر. ولما كانت قرة عينهم في الصلاة وعدهم الله بما تُقر أعينهم في الجنّة، والجزاء من جنس العمل.

وصلاة الليل فيه تصفو الأوقات وتحلو المناجاة، وقد تنافس الصالحون في ظلمائه، وأحبو الدنيا لليلها ولما حضرت الوفاةُ معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: " اللهم إني كُنتُ أخافك، وأنا اليوم أرجوك، اللهم إنك تعلم أني لم أحب الدنيا وطول البقاء فيها لجري الأنهار، ولا لغرس الأشجار، ولكن لظمأ الهواجر، ومكابدة الساعات، ومزاحمة العلماء بالركب عند حلق الذكر». رواه أحمد في الزهد (١٠٠٣).

ويقول أبو سليمان الداراني: «والله لولا قيام الليل ما أحببت الدنيا». وكان الحسن البصري رحمه الله يقول: «ما ترك أحد قيام الليل إلا بذنب أذنبه». فالليل ثمين بدجاه، وقيامه من نعوت المتقين المبشرين بجنات النعيم: «كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ١٧» (الذاريات: ١٧). قال بعض السلف: "أهل الليل في ليلهم ألذ من أهل اللهو في لهوهم، ويا بُعد ما بين الحالتين، فسبحان من وفق أقواماً فتقربوا إليه بالنوافل، وأبْعَد بحكمته وعدله آخرين فهم عن ما ينفعهم في حاضرهم ومآلهم غافلون». (موارد الظمآن: ٣٥٤/١).

فالكيسُ من شمَّر في عبادة الله قبل أن يهجم عليه هاذم اللذات ومفرق الأحباب، الموت، والعاجز من فتح على نفسه باب التسويف، واكتفى بالآمال والأماني، «حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ٩٩ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ» (المؤمنون: ١٠٠). «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك».

السياق وتنوع أوصاف العذاب في القرآن الكريم

إعداد **د. عبد الرحمن فودة**
أستاذ البلاغة جامعة القاهرة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله المبعوث رحمة للعالمين.

أما بعد: فقد بينت في المقال السابق دور السياق في إيثار وصف "العظيم" دون غيره من أوصاف العذاب، أسأل الله لي ولك السلامة من كل سوء.

وسقنا على ذلك أمثلة تحليلية، وفي هذا المقال بعون الله وتوفيقه نتناول وصف "مهين".

الوصف الرابع مهين:

ورد هذا الوصف أربع عشرة مرة، كلها فاصلة، ثنتا عشرة منها في عذاب الآخرة، وقعت نكرة، وثنتان في العذاب الدنيوي ووقعت معرفة.

وهي من مادة (هـ و ن) وليست من (مهن) الدالة على الحقارة والاحتقار.

فالمهين: المذل. والهوان على وجهين: أحدهما: تذلل الإنسان في نفسه بما لا يلحق به غضاضة؛ فيمدح به نحو: «وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا» (الفرقان: ٦٣).

الثاني: أن يكون من جهة متسلَط مستخف به، فيُذم به.

وعلى الثاني، قوله تعالى: «وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ»، ويقال: هان الأمر على فلان: أي سهل.

والإهانة عقوبة لمن طلب العزة والكرامة

بعيدًا عن منهج الله عز وجل، ولذلك كان مناسبًا للكافرين، والصادين عن سبيل الله، والذين يتخذون آيات الله هزوًا، والمكذبين بها، والذين يعصون الله ورسوله ويتعدون حدوده، والذين يؤذون الله ورسوله صلى الله عليه وسلم.

والمهين اسم فاعل، والعذاب يقع على المعذَّب، ووصفه بأنه مهين أي يوقع المهانة فيه معنى الاستعارة حيث يقوم بإهانة أو إذلال المعذب. فلما كان العذاب دائمًا ثابتًا صار كالقائم بالأمر نفسه. ولعل فيه إشارة إلى أن هناك نوعًا من العذاب يكون مطهرًا لا مهينًا.

> “العذاب المهين يقع في الدنيا والآخرة مذلا لأصحابه.”

والعذاب المهين يقع في الدنيا والآخرة مذلًا مهينًا لأصحابه، غير أن هنا إشكالًا يخص العذاب الدنيوي، فإننا نرى من يعذب لرأي أو لفكرة أو لمعتقد، ومع ذلك فهو لا يشعر بالإهانة، بل ربما يعتبر ذلك لونًا من العزة والكرامة من أجل مبدأ سام أو عقيدة راسخة يؤمن بها.

وقد ورد العذاب الدنيوي في القرآن الكريم مرتين: إحداهما تخص الجن المسخر لسيدنا سليمان عليه السلام، حيث لم تشعر الجن بموت سليمان إلا بعد أن أكلت الأرضة عصاه التي كان متوكئًا عليها ثم وقع على الأرض فتبينت الجن أنها لا تعلم من الغيب شيئًا، والا ما كانت لتلبث في الأعمال الشاقة المذلة: «فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ» (سبأ: ١٤).

والموطن الآخر في شأن بني إسرائيل الذين كان يستعبدهم فرعون ويستذلهم، فيقتل أبناءهم ويستحيي نساءهم، فامتن الله عز وجل عليهم بالنجاة من هذا الذل والهوان وصرف عنهم ذلك الجبار المسرف المتكبر على عباد الله. وفي ذلك يقول عز وجل: «ولقد نجينا بني إسرائيل من العذاب المهين ٣٠ من فرعون إنه كان عاليا من المسرفين» (الدخان: ٣٠- ٣١).

وفيما يلي نتأمل بعض الأمثلة التي أوثر فيها هذا الوصف:

المثال الأول:

قال تعالى: «وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ» (البقرة: ٨٧- ٩٠).

وسياق هذه الآيات يتحدث عن بني إسرائيل وكفرهم وعنادهم واستكبارهم وقتلهم رسل الله عز وجل، حتى إذا جاءهم القرآن الكريم متلوًا على لسان محمد صلى الله عليه وسلم مصدقًا لما معهم من التوراة جحدوا وأنكروا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم مع أنهم كانوا يبشرون بظهوره صلى الله عليه وسلم ويقولون إنهم سيتبعونه، ولكن لما جاءهم ما عرفوا كفروا به، فاستبدلوا الكفر بالايمان ظلمًا وحسدًا لإنزال الله القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم فخسروا واستحقوا غضب الله عليهم، ولهم عذاب

يذلهم ويهينهم.

نلاحظ في هذا السياق ذكر (بغيًا) وفيه معنى الزيادة في الإثم والطغيان، وهو مناسب لكون العاقبة مهينة لهم ومذلة. فلما بدر منهم عداوة، والمعتدي متغطرس، ناسب أن تكون عقوبتهم مهينة لهم مع ما فيها من الإيجاع الشديد.

والفعل (اشتروا) من الأضداد، فالأنفس بمنزلة الشيء المثمن، والكفر بمنزلة الثمن، لأن أنفسهم لا تشترى بل تباع؛ فهو على سبيل الاستعارة أي أنهم اختاروا الكفر على الإيمان وبذلوا أنفسهم فيه، وإنما وضع الأنفس موضع الإيمان ليؤذن بأن النفس إنما خلقت للعلم والعمل به، المعبر عنه بالإيمان، فلما بدلوا الإيمان بالكفر كأنهم بدلوا أنفسهم به.

> "تعدي حدود ما أنزل الله لون من أشد ألوان البغي فجاءت العقوبة بالعذاب المهين ملائمًا للجرم."

ونلاحظ قوله (وللكافرين) ولم يقل (ولهم) فآثر التعبير بالإظهار دون الإضمار ليصلح أن يدخل فيه هؤلاء الكفار المعنيون ويدخل معهم غيرهم أيضًا.

قال القاسمي: «وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ» (البقرة: ٩٠): يراد به إهانتهم أي إذلالهم، فإن كفرهم لما كان سببه البغي والحسد، ومنشأ ذلك التكبر قوبلوا بالإهانة والصغار في الآخرة. كما قال تعالى: «وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ» (غافر: ٦٠): أي صاغرين حقيرين.

ومما يؤكد هذا المعنى التنكير في الصفة والموصوف، واستعمال اسم الفاعل الدال على الثبوت والدوام.

المثال الثاني:

قال تعالى: «وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ» (النساء: ١٤): هذه الآية جاءت بعد آيات المواريث التي ذيلت ببيان عاقبة الطائعين لله ورسوله صلى الله عليه وسلم. فجاءت هذه الآية لتبين عاقبة العاصين لله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم.

«تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ» (النساء: ١٣): فالسياق إذًا ترغيبي ترهيبي، والخطاب لأهل الإيمان الذين فصلت لهم أحكام المواريث، ثم أعقبت ببيان ثواب الطائع ومآل العاصي، وجاءت الآية موطن الشاهد مختتمة بتهديد العاصي بنار يخلد فيها وله عذاب مهين. فناسب الختم بهذا الوصف (مهين) لأن العاصي المتعدي للحدود كأنه لا يشعر إلا بنفسه وهوانها في هذا الموقف الرهيب في عرصات القيامة. أما أهل الجنة فيدخلونها زمرًا وجماعات تبدو عليهم الفرحة والسعادة في اجتماعهم وفوزهم بجنات الله.

واستعمل المضمر هنا «وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ» مقدمًا، ليفيد اختصاصه وتعيينه بهذا العذاب المهين، لتعديه على حدود الله وعصيانه لله ورسوله صلى الله عليه وسلم.

مع ملاحظة التنكير في الصفة والموصوف وهو يوحي بالتهويل والتخويف، مع ثبات ودوام هذا العذاب بما فيه من مذلة ومهانة.

ولعلنا نلحظ أن تعدي الحدود هو لون من ألوان البغي، فجاءت العقوبة ملائمة للجُرم وهو التعدي للحدود.

وللحديث بقية إن شاء الله.

علم نافع لايستغني
عنها البيت المسلم

التوحيد

وقفات شرعية مع أحداث الثورة المصرية
أنصار السنة المحمدية والانتخابات
يا دعاة الأمة:
الزموا السنة على منهاج النبوة

يسر مجلة التوحيد الإعلان عن عودة خدمة الاشتراكات الخاصة بالأفراد والمؤسسات عن طريق البريد المصري، على أن يكون سعر الاشتراك السنوي للفرد (عدد نسخة واحدة من المجلة) ٤٥٠ جنيهاً عن السنة.

ويوجد تخفيض آخر في حالة وصول عدد الاشتراكات إلى ٨ نسخ على عنوان واحد يكون سعر الاشتراك للنسخة الواحدة ٢٠٠ جنيه فقط.

التوحيد
١٤٤٣

صدر حديثاً

المجلد الجديد

بمقر مجلة التوحيد

١٢٠٠ جنيه

سعر الكرتونة بدلاً من

~~١٥٠٠~~ جنيه

لفترة محدودة

يوجد مجلدات السنوات القديمة

سعر المجلد **٢٥** جنيه

بدلاً من **٥٠** جنيه

حتي عام ١٤٣٩ هـ

التوحيد
مجلة إسلامية ثقافية شهرية
١٤٤٣
لعام ١٤٤٣ هـ

سعر المجلد الجديد

١٠٠ جنيه

هدايا قيمة

لأول ١٠٠ مشتري

الآن أصبحت 51 مجلداً من الموسوعة

للحصول على المجلدات والكرتونة الاتصال على قسم التوزيع

☎ تليفون: ٠٢٢٣٩٣٦٥١٧٠